

تاريخ

قبائل البجا

بشرق السودان

أ. ب. بول



نقله إلى العربية

دكتور / أوشيك آدم على

كلمة المترجم

مؤلف هذا الكتاب هو الادارى البريطانى پول الذى الم بالبجا الماماً واسعاً ولكن نظرتة لم تخل من صلف وكبرياء . نعت القبائل البجاوية بكل ذميم وقبيح وكان اكثر قسوة على الثورة المهدية ورمزها الفذ فى الشرق الامير عثمان دقنه . هذا موقف غير مستبعد من كاتب بريطانى نذر نفسه لرعاية المصالح البريطانية وبالتالي لابد ان يجد لها مبرراً أخلاقياً لاستعمار الشعوب واستعبادها .

رغم ذلك فالكتاب ، فى نظرى ، جدير بالترجمة لانه حوى على حقائق كثيرة عن البجا لم تكن معروفة للكثير من العامة ، وربما لبعض الخاصة . يعطى الكتاب سرداً تاريخياً مفصلاً عن قبائل شرق السودان التى يمتد تأريخها المعروف لاكثر من أربعة ألف سنة . فهم عاصروا كل الحضارات التى تعاقبت على منطقة الشرق الاوسط وجنوب الجزيرة العربية ، فضلاً على الولايات والممالك السودانية المختلفة .

فى سياق حديثه اعطى الكاتب أيضاً سرداً لكل المعارك التى خاضها البجا نوذاً عن الارض والعرض ، وبالأذات تلك المعارك الشرسة مع البريطانيين والتى استتبسل فيها البجاوى استتبساً كان مثار اعجاب وتقدير للجنود البريطانيين ومن خلفهم فحول شعرانهم أمثال نيوبولت وكبلنغ وغيرهم الذين استتطقتهم تلك الملاحم البطولية واستلهمتهم شعراً رصيناً يمجدون فيه تلك الشجاعة التى قوضت جبروت المؤسسة العسكرية البريطانية وما تحملها من آليات الفتك والدمار ، هذا من غير أن يلين عزمهم أو تكسر شوكتهم حتى أصبح الشرق كله بركاناً يطفى تحت اقدام الغزاة البريطانيين يجرعهم الهزيمة واحدة تلو الأخرى ، ثم تعقدت الامور لدرجة يطلب فيها عقد جلسات استثنائية لمجلس العموم البريطانى وحكومة الأحرار آنذاك لمعالجة الموقف المتفجر بشرق السودان ولوضع حد لهزائهم المتلاحقة هناك .

اتمنى أن يجد هذا الكتاب قبولاً حسناً وسط القراء السودانيين وأن يكون رصيذاً جديداً للمكتبة العربية السودانية حتى تتسع رقعة تداوله .

لا بد هنا أن أتقدم بوافر الشكر لكل من ساهم فى هذا العمل قولاً وفعللاً وتشجيعاً

ولاسيما أسرتى التى أجبرت على الصبر والتحمل .

وكلمة أخيرة وهى أن إخراج هذا الكتاب بهذه الصورة لم يكن ممكناً لولا الجهود المخلصة والعناية الشخصية التى حظى بها من الأخ أحمد آدم أبوموسى ، بمطبعة جامعة الخرطوم ، فله منى خالص الشكر والثناء

المترجم

الخرطوم ١٩٩٧م

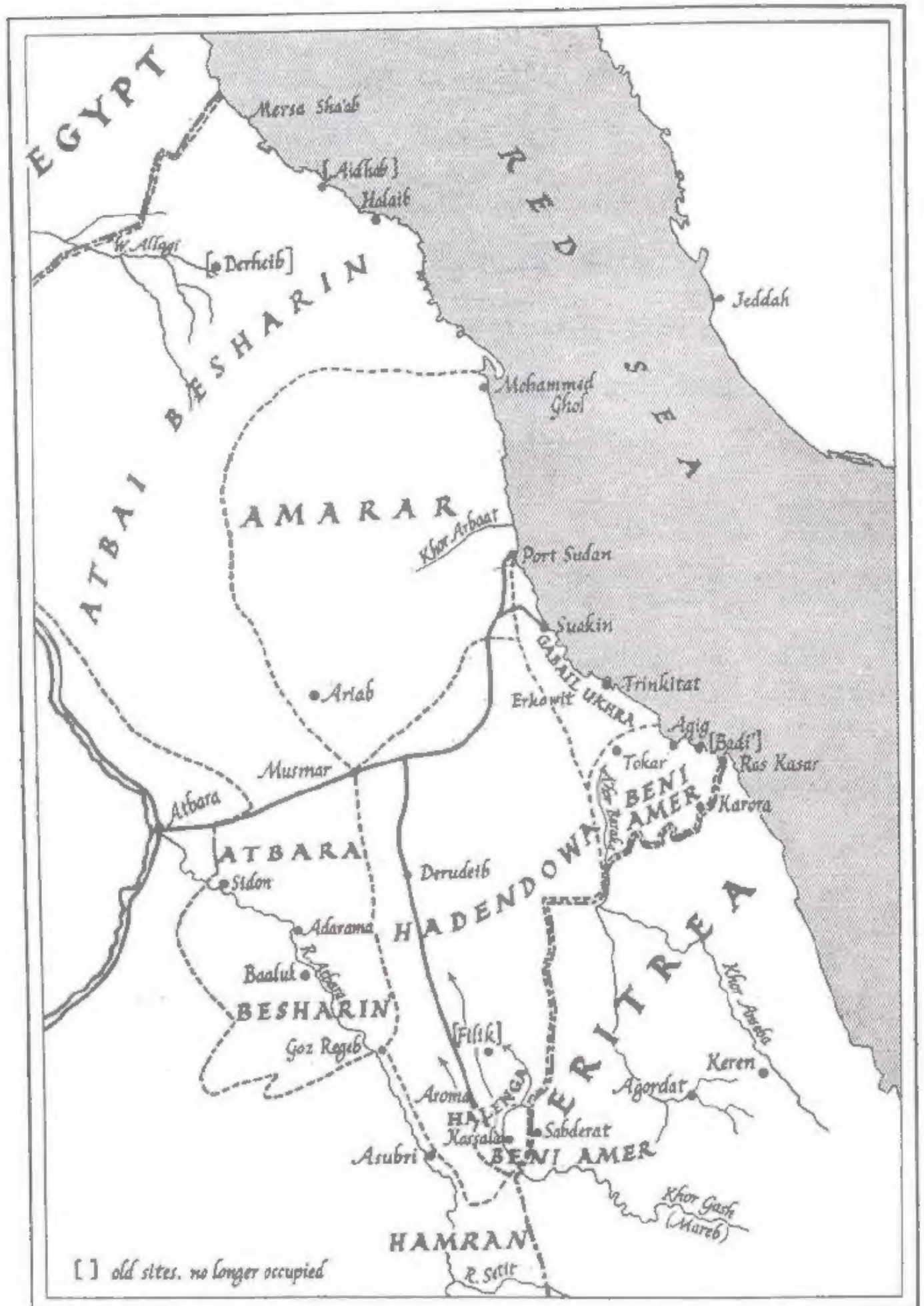
تهدية

تلخص هدفي من هذا الكتاب تقديم تاريخ مكتمل ، بقدر الامكان عن القبائل التي تقطن الآن جبال وصحاري شرق السودان . بالطبع لم تكن هذه غاية سهلة المنال ، إذ لم يكن في مقدوري أن أكرس لها الزمن المطلوب كما كنت أرغب وذلك بسبب أعبائي الرسمية ، فضلاً على أن دارس التاريخ البجاوي لابد وأن ينفرد بالمام عميق باللغات قديمها وحديثها وأنا لا أدعي لنفسى هذه المكانة .

تجنبت أن أرحم القارئ بالمعلومات والمراجع الكثيرة التي تناولت الموضوع بالسطحية ، غير إنني أأمل أن قائمة المراجع المرفقة في نهاية الكتاب (النص الانجليزي) أن تحتوي على كل المعلومات المفيدة عن البجا .

أتقدم بالشكر والثناء لكل من ساهم بالرأي والنصح وبالذات أمين مكتبة نيوبولد بالكلية الجامعية بالخرطوم ، الذي لم يبخل على باني كتاب أو مرجع . وكذلك أتقدم بالشكر الى السيد مدير الآثار الذي سمح لي بالإضطلاع على مذكرات المرحوم سير دوغلاس نيوبولد (الموجودة حالياً في متحف اشموليان بإكسفورد) . لابد أن أثني كثيراً للسيد محمد صالح أفندي ضرار على يانجي في شركة تلغراف الشرق ببورتسودان والذي وضع إمامه الموسوعي بقبائل البحر الأحمر تحت تصرفي .

وأخيراً لايفوتني الا أن أشكر حكومة السودان ودار نشر جامعة كمبريدج لما أبدوه من تعاون كريم في طباعة وإخراج هذا الكتاب .



أرض البجا

ظلت متماسكة ومحافظة على معنوياتها .

والتأريخ فإن بقاء هذه الأمة على هذه الهيئة يعتبر من الأمور التي تثير العجب ، وقد يرجع ذلك لأسباب عدة منها قسوة الحياة في المنطقة التي يعيشون فيها ، ولكن يرجع في المقام الأول الى شخصيتهم المتميزة التي تطبعت لحياة بدوية حرة اقترنت بخشونة خالية من الحساسيات . إنعكس ذلك على تكوينهم الوجداني والنفسي الذي تميز بروح عدوانية مقرونة بنزاعات قبلية أصبحت نمطاً من أنماط حياتهم اليومية . والبجا لا يقيمون وزناً يذكر لحياة الانسان مثلهم مثل المجموعات البدائية الحامية الأخرى مثل الشلك في أعالي النيل والماساي في سهول تنجانيقا . فهم إجلاف متوحشون ويمكنك أن تطلق عليهم ما شئت من الأوصاف الغير صحيحة مثل تلك شعورهم بدهن الاغنام وتدلّيك أجسادهم بالسمن الذي تفوح منه رائحة العرق المزوج بدخان الحطب . هذا كله يجعل من البجا ، للذين يعرفونهم جيداً ، عنصراً غير جدير بالبحث والدراسة .

ظل البجاويون ، على امتداد تأريخهم الطويل ، في عزلة تامة غير خاضعين لأي سلطة مهما كان نوعها أو مصدرها ، وبقوا مشتتين في جبالهم وصحاريهم بعيدين كل البعد عن أي اتصال بالخارج محافظين بذلك على حريتهم واستقلاليتهم وغير عابئين أو مهتمين بما يجري حولهم . فهم لا يطلبون من هذا العالم أكثر من أن يتركهم وشأنهم . بل تزداد فرحتهم وبهجتهم اثناء الحكومات الضعيفة ، أو بالأحرى في حالة عدم وجودها على الإطلاق ليتفرغوا لقطعانهم ولصراعاتهم مع جيرانهم متى ما سنحت الفرصة لذلك .

هذه الصورة الخارجية التي تم عرضها هي نموذج حي لشعب بدائي متعطش للدماء وغير جذاب ، خصوصاً لأولئك الذين إحتكوا بهم . فقدماء المصريين كانوا يلقبونهم بالكوشيين القبيحين . وقال عنهم بومبيونوس ميلا في القرن الثاني بعد الميلاد " أنهم أقرب للحيوانات المتوحشة منها للإنسان " . وبعد ألف عام من ذلك التأريخ قال عنهم الكتاب العربي ابي جبير " أنهم يعيشون كالحيوانات وتحتاج ديار الاسلام هذه الى التخلص منهم " . وذكر عنهم خوان دي كاسترو الذي شارك في حملة الاستكشاف الغير ناجحة ضد السويس عام ١٥٤٠ " بانهم قوم تفرغوا للسلب والنهب " . وانفرد لبنان دي بيلفوند ، المهندس الفرنسي الذي زار جنوب عيتباي عام ١٨٢٣ ، بوصف أحسن من

سابقه لأنه ذكر عنهم بعض الصفات الحسنة ، إلا أنه وفي نفس الوقت اعترف كغيره بجميع أخطائهم " بأنهم كذابون ولصوص حيثما سنحت لهم الفرصة بذلك ، ثم اتهم كسالى الى أبعد الحدود ، ولكنهم رغم ذلك فهم شجعان وأوفياء ويتمتعون بشجاعة وفروسية بالفتن " .

أما الألماني شوينفورت ، الذى زار نفس المنطقة عام ١٨٦٤ فكان أقل إعجاباً بهم من زميله الفرنسى حيث قال " إنهم غير كرماء وكذابون ، وعدوانيون كالشوك الذى ينمو فى مناطقهم " . وقال عنهم أبل شابمان ، عالم الطبيعة الذى زار الهندوة الشماليين عام ١٩٢١م " بأنهم أكثر الشعوب بدائية وتوحشاً " هذه هى الصورة التى نقلها عنهم الكتاب كاتباً تلو الآخر ولم يبق بعد ذلك ما يضيفونه من الأوصاف .

أما لجيرانهم ، ما إذا كانوا الرومان فى مصر أو النوبة أو العرب أخيراً فى وادى النيل ، فهم شعب عدوانى ضار تطبع بكل الصفات الشيطانية ، وهذا ما حدى بالقصاصين العرب أن ينسبوهم الى جن يسمى هفف أو صخر ، ذلك الجن الذى كذب على الملك سليمان بن داود فى أمر احدى زوجاته . إنه ليس من العدل الحكم على هذا المستوى البدائى بمفاهيمنا وثقافة عصرنا الذى تعقدت حلقاته ، لأنه من غير المنطقى ان ننسى حال أجدادنا الذين وصفهم الرومان عام ٥٤ قبل الميلاد بأنهم قوم قساة متوحشون ، ثم تغيرت طباعنا وممارساتنا خلال الالفين عام اللاحقة واصبحنا شعباً مختلفاً ، عكس البجا الذين لم يبعدوا كثيراً عن ماضيهم الذى تميز بالبداءة والوحشية والعدوانية .

خضع البجا ، لأول مرة فى تأريخهم لسلطة حقيقية فى الخمسين عام الماضية . كان هدف هذه السلطة هو تحقيق الأمن والقضاء على الجوع والمرض وتوفير التعليم واستغلال مواردهم الشحيحة . . يحتاج جنى ثمار هذه المحاولة ، بطبيعة الحال ، لفترة من الزمن ولكن بعض المؤشرات الحميدة فى هذا الاتجاه هى انهم اليوم اقل إحتكاماً للسيف عن ما مضى وأكثر ميلاً لفض النزاعات عن طريق الحوار والمفاوضات والذان يخضعان دائماً لتطويل والمماطلة والتسويات اللانهائية . واعتقد أن ميزة التسوية هى صفة لها جذورها العميقة فى الشخصية البجاوية ولكن لم يتوفر لها المناخ الملائم للتطور الا فى الفترة الاخيرة ، أى فقط فى ظل الظروف السلمية التى خضعت لها المنطقة . علاوة على ذلك فإن

البجا يَتميزون بمقدرة غير محدودة للخصام والمقاواة . ليست بمالك حالة احدة . بالذات تلك المتعلقة بالارض أو الماء حسمت فى فترة وخيرة من غير أن تمر عبر نقاش طويل وعقيم تمتد جلساته الى فترة طويلة ويتخلله التأجيل والتسويف والمماطلة . عندما تفشل تلك المحاولات تفرض النزاعات بالاحتكام لقانون الشريعة التى يجلس على قمتها قضاة قبليون امبيون ولكنهم امناء وصادقون .

وفى الجانب الآخر ابدى البجا كثيراً من مظاهر الانقياد والود ، وهذه محاسن يجب أن يشكر عليها اولئك المشرفون على إدارة مناطقهم . غير أن هذه الخصال تحتاج لفترة أطول لكي تصقل وتنبلور ، بالذات لشعب تعود لحياة العزلة والاستقلالية والتخوف وعدم الاطمئنان للغريب . وبالتالي فإن فترة النصف قرن الاخيرة تعتبر فترة قصيرة وغير كافية لإزالة كل المخاوف والاعتقادات الضاربة فى القدم . الآن فإن جزءاً من وحشيتهم تم ترويضها واحتفظوا بكثير من صفات البداوة ، مثل البساطة والشجاعة والصبر والشهامة ، وقدرأ من الدعاية والفكاهة اضافة لذلك فإن البجا ابدوا بعضاً من الود والاحترام لأولئك الذين كسبوا صداقتهم وثقتهم . إنه من الصعوبة بمكان تأمين مثل هذه الثقة التى تعتبر من الانجازات القيمة . وعبر أحد إدارى المنطقة عن هذه الحالة بما يلى " أنه من الأشياء التى تثلج الصدر هى تأمين رضى البجاوى الذى يتعذر ترويضه " .

الانطباع الذى يخرج به المشاهد عن البجا اليوم هو الانعزالية والكسل والتفرغ الكامل لقضاياهم الخاصة والارتباط الشديد ، من غير تنازل أو مساومة ، بوحدة اراضيهم وحقوقهم القبلية . لذلك فهم ينظرون للارض التى ترعى فيها ماشيتهم وتنمو فيها غلالهم البسيطة بأنها إحدى المقدسات التى لا يسمح المساس بها أو النيل منها ولا يسمح بانتزاعها الا بالقوة . غير أنهم لا يمانعون فى أن ينتفع بها من يرتضونه ويرضاهم أو عن طريق الاتفاق والموافقة المسبقة شريطة أن لا يكون هناك مجرد نقاش الى من تؤول ملكيتها . لذلك فهم يتصفون بعناد شديد فى المحافظة على ملكيتهم ولا يترددون فى استعمال القوة للحفاظ عليها . والهندوة ، بصفة خاصة ، هم أكثر القبائل البجاوية تمسكاً بأرضهم لدرجة أنهم فرضوا على بعض المناطق اتاوات مقابل حمايتها من القبائل الأخرى . فمثلا كان على الجميلا ب يقع عبء حماية الجبهة الشرقية من توغل البنى عامر ،

وفى الجانب الآخر نجد أن الشبوديناب كانوا يحرسون الجبهة الغربية من نفوذ البشاريين . وتفرغ المحمود عليهداب ، مجموعة صغيرة على نهر عطبرة ، لمنع الشكرية من عبور أراضيهم .

هنالك حادثة توضح ارتباط البجا الشديد بأرضهم ، وكانت هذه بسبب رد فعلهم للغزو الايطالى للسودان فى صيف وخريف ١٩٤٠م . فى تلك الاثناء احتل الايطاليون كسلا ، وكان هنالك إحساس من أن تفلت الامور فى ارض البجا خوفاً من انضمامهم للعدو ، أو تقديم المساعدة له ، إذ كانوا يعتقدون هزيمة البريطانيين فى تلك الحرب . قدم البجا ، والهندوة بصفة خاصة ، خدمات جليلة دون ربطها باحتمال نجاح الغزو الايطالى . إعتقد البريطانيون أن هذا الموقف هو مكافأة لهم ونجاحاً لوسائلهم فى الادارة والحكم . أما انا فيراودنى الشك فى ذلك الاعتقاد . قد يكون هنالك فعلاً نجاحاً لبعض الاداريين ، ولكن معرفتى الدقيقة بالبجا تجعلنى أجزم بأن البجا ينظرون الى هذه الحرب بمنظار يختلف عن منظارنا . ادرج الايطاليون فى جيشهم أعداداً هائلة من القبائل الناطقة بالتقري ، غالبيتهم من التقري والقبائل المتفرعة منها . هذه قبائل تعتبر عدواً تقليدياً للهندوة وتحركها من خور بركة متجهة نحو منطقة عطبرة هو تهديد لأراضى الهندوة ولا يسمح به فى أى حال من الأحوال . هذه الحرب التى وقف فيها الهندوة بجانبنا لم يكن الغرض منها الحد من تقدم الايطاليين ، بل كانت فى نظرهم امتداداً لصراع قديم مع البنى عامر لوقف توغلهم داخل أراضى الهندوة . ومن هذا المنطلق فإن الغرض الرئيسى لهذه الحرب ، فى نظرهم ، هو حماية أراضى القبيلة ، وإن تزامن ذلك ، حتى من قبيل الصدفة ، مع الهدف البريطانى لهزيمة الايطاليين ودمرهم . وما أن وضعت تلك الحرب أوزارها وتمت هزيمة الايطاليين وحلفائهم حتى شعر الهندوة بأنهم حرروا من جنى ثمار ذلك النصر الذى تمثل فى نظرهم على أنه انتقام ومطاردة للبنى عامر ونهب غير محدود لأبقارهم .

من المعلوم أن القبائل الرعوية لا تميل عادة الى العمل الشاق ، حتى وإن كان ذلك لخدمة قطعانهم الثمينة . ولكن البجا ، وعلى حسب تجاربى الخاصة ، فاقوا كل التصورات . فهم لا يقومون بأى جهد عضلى ، بل يفضلون أن يتصوروا جوعاً من أن يقوموا حتى بجهد بسيط قد يقيهم من الجوع والحاجة . صحيح أن الامرأر يشكلون الجزء

الأكبر من العمالة فى ميناء بورتسودان ، ولكن فى الجانب الآخر نجد ان البجا يوكلون زراعة القطن فى طوكر ودلتا القاش الى الاريتريين والافارقة من افريقيا الغربية ، وهمهم الرئيسى فى هذه الناحية ينحصر فى الحصول على الدخل علاوة على تحريض حيواناتهم فى الدخول الى المزارع حيثما سنحت الفرصة لذلك . وحتى فى مجال الرعى فهم يعتمدون على النقرى ، الذين هم أنفسهم من المجموعات البجاوية القديمة ولكنها تعودت منذ القدم على أعمال الرق والعمل بأجر زهيد .

قد يستهلك البجاوى اليوم كمية من الحبوب اكثر مما يستهلكه اجداده ، ورغم ذلك فهم لا يزرعون منها الا القليل حتى وان كانت الظروف مواتية لذلك . غير أنهم فى بعض الاحيان ، لا يمانعون القيام ببعض انواع الزراعة .

ذكر كلارك عام ١٩٣٨م فى مقالته " عادات وتقاليد البجا الشماليين " ما يلى :

عندما تهطل الامطار وتفيض الخيران منحدره من الجبال والوديان ، يقوم البجاوى ببشرة بعض البذور من غير أن يبذل جهداً فى حرث الارض أو تسويرها ، ثم ينتظر ثلاثة اشهر لحرثها . بعد ذلك تاتى فجأة بعض قطعان الجمال السارحة وتقضى على جميع الزرع ، وهنا يتحرك صاحب الأرض ليطلب تعويضاً مبالغاً فيه نظير زراعته التى قضى عليها .

يمكن تلخيص ذلك فى أنهم يريدون ان يتمتعوا بدخل لم يبذلوا فيه حتى أقل جهد يذكر حتى وأن كان ذلك من أجل ماشيتهم التى يعتزون بها . فهم يربون سلالات جيدة من الجمال ، اضافة الى القطعان الكبيرة من الماشية فى المناطق الجنوبية . ورغم ذلك فهم لا يولون أهمية تذكر لتجارة الحيوانات الا على مستوى ضئيل كبيعهم بعض الجمال للبوليس أو فى أسواق الماشية فى مصر .

لقد تركوا تجارة الجمال الرابحة مع مصر حكرأً على قبيلة الرشايذة العجرية التى هاجرت حديثاً من الحجاز الى السودان . وفى الوقت الحاضر فإن البجا لا يمانعون القيام بأى عمل ، غير ان مشكلتهم الرئيسية انهم قنوعين بالدخل البسيط كالذى يتحصلون عليه من زراعة هكتار أو هكتارين من القطن أو ما يتحصلون عليه مقابل عملهم لاسباع قليلة

هي ميداء بورسود من هذا لاجل يسرون بعض حبسهم . سرور في
ليفرغو للراحة في باديتهم الى ان تدفعهم الحوجة الى العمل .

مما لاسك فيه ان خسويه رخص لاجل وضعوه بحسبه فيه جعلوا
بالمخطفه وسكانها من يسر باليسير . رخص العمل في رخصهم بالخصي وجروهم في
العبيد و لاسرى يقومون بكل الاعمال ويصنع كلارباها مره اخر

انهم يجلسون تحت ظلال شجار لسط لسطحهم . يرقون من على سحر حيو .
وهي سرعى ونسرح . وساورهم شعور عميق بانهم يسكنون مسكن حلو .
الارض مما يغنيهم عن العمل والحوجة .

قد يسبح هذا الشعور عن عسا محض عبر ان السك بعد ما يكون عن
تصوره بعض . ان ان شعورهم لكسفة بعضى ارض و عاده وكسفا سر مسبعة ويبنى
ان لغتهم بعنية بالقواعد ومفردات الخيال ليل على بها لسط لسطحهم .
ثقافة متكاملة وحضارة باصحة فهم سمرون سقد د عسفه هي سر
والاسطير وتتشيف كلت اللعين اسويث وانقرى بدخوره دمعه مر
والبلاء تجلى مقرتهم ناء النفش و تحريت اسار سوران من
ظلال الاشجار ، وحول لابر و حول فاحس اليهود هي لاسس

قد نعى شعور لدى بعض لاسر بان لجا عسا ودا د على عسفه عوده
الدرسى في لعشرين عام الماضية والتي بدلت فيه الحكومة كل حبه في شعور هذه
العقبة بالادهن . يعتقد البعض ان ذلك رجع في لمع الارض الى صعوبه
وهي العربة . قد بشكل هذا الراى حرا من لحقيقه ، ولكن في راسى ان لاسر
كثرا لجاوى وعدم رعينه في التعامل مع ي شى محار بيته ولسر ما
رعويه طلبة قد يسوعبون بعض لاسر و لافكار . لكنهم قد نفسون
لدقيقة ناء على اعقد جارم بانهم سوف من يتصور في مسطر ما
حاده في رفع مسواهم المعيسى كم هو الحال في النفس و شعور
جزرية وهذا اقل الاحتمالات توقعا .

٥٥. وي كل سنة في الاحسنى وذلك بسبب عزلته انى ،متدت لقرون ، فضلا على
جميع الناس ،فهو الى ارض البحر كان هدفهم الاول هو استغلال المنطقة وسكانها
في ارضهم لقرابة بحرين من الذهب والفضة ، علاوة على الذهب ، كانوا يرغبون في
الذهب لانه يسهل في عروبهم في سبب تم جاء لسببيون والحميريون بحثا للتجارة
و ربح يبعثوا هناك كصوة ،رستقراطية حاكمة . ف الرومن فكثروا اقل جشعا اذ كان
يسهل اقل هو التنقيب عن الرخام والاحجار ،الكريمة لاخرى لاستعمالها لنحت تماثيلهم
وسهل اقل هو اقل ،لغة العرب بحثا عن لذهب و لاحجار الثمينة وخلفهم بعد ذلك الحكم
بالحكم المصري الذي أسس نظام فردي في انظم ولفهر و لاضطهاد لم يسبقه عليه
احد و حبرا حيا لبرصاصون ، آخر يعرفه لافلم البحر ، الذين كانوا اقل ابتزرا
وحرية لكن لجوى لم يسر تلك المواقع الحربية لتي حصد فيها رجالهم بالاسلحة
النارية القاذفة عن الحكم المصري الفاسد الذي حكم مطلقتهم . لذلك لايستغرب
مصلحتهم ان بحث في دهر الجاوى كراهية عميقة للاجانبى وما يمثله من ثقافة أو حضارة .
لكن الجاوى توصل الان و بمرور الزمن ، الى حقيقة هامة وهى ان نوابات صادقة في
وما حكومتها صادقة رغم انها لم تنس مدركتهم الكاملة .

يعيش الجاوى النوم في جماعات سرية صغيرة مبعثرة هنا وهناك في أماكن تواجد
المياه ولعبت عام وجود لغة مشتركة بينهم ومن جيرانهم أصبح يشكل حائلا منيعا
لعلاقات حميمة ورفيعة .

يقول ساندور في ذلك إن البحر يمثلون مجتمعا بسيط التماسك والترابط تكون فيه
لسطة المصلحة ذات وهم يجوبون الفدى والسهول بحثا عن لكلا . طور هذه المجتمع ،
عن مدرساته لصوبه ، نصابا انحصاريا خاصا به لفض مزاعاته وابع من بيته ومواكب
لتقالده ومفاهيمه المتمثلة في الضير والتأجيل .

في صعوبة لغتهم وعدم رغبتهم في التحدث بغيرها ، اضافة لكرهيتهم المناصلة
للاحسنى حصر دائرة منطقتهم شيئا أشبه بالمسحبل . تردد المشكله تعقداً سبب النقل
لمفاحى بصسط وإحدى المنطقة الى بقاع أخرى من السودان ، مثل منطقة الفور والأرابدى
وغيرها قبل ان يستثمر جهودهم في فهم المنطقة وسكانها ولعهم . انه مما لاشك فيه أن

خمسة و سته اعمود سبب بالمده لك فيه لا رى مدعطف مع . سبب و سبب سبب سبب
يستفاد من معرفته هذه في خدمة الارادة التي يمثلها و هو صمد . لئلا يحكيه سبب
ينقل الى منطقة أخرى .

أيضاً ليس من غريب هي ان سببوى . كل ما يملكه من يحفظ و هو و عه و عه
مدعومين بلعة مهمة . ان يحلو سببوى بالياس و لاحتياط في نفوس كثير من حاكمه . عبر
ن هذالك فئة صغيرة خدمت سببهم وتركهم غير سببهم على ذلك و في الحاد . لآخر سبب
هذالك فئة أخرى عودف احسن اسي تلك الرما . سببهم في عسبى و تلك تقدم سببهم
التساهقة هي و ج موسم امطارها السنويه . أو حتى سبب السبب . و سبب سبب سبب في
القاش و خور بركة . لتي يحولها ذلك سببوى . سببوى لتي بعضى راسه كسبه من السبب
تره وفد وضع عصده على كتفيه بدور . اكتر ب لما حوله وفد برك حمده سبب سبب و سبب
معزاته بين رجليه في صورة أشبه بالكلب الأليف .

الفصل الثاني

البحا أرضهم وقائلهم

الأرضى الغبراء الملونة كاشف

فرييا ستارل

عند عبور قنات البحر إليها ، لم بالحرب ورمع ، من جمالهم و بفرهم برعى بالقرب من
ساحلها في نفس فصول سنة . لا من فندر لبحا بجميع مروعها . طللت قناتلا برية
عبر بها بعد كل كبر سحر . والى في فهم ليس بهم معرفة بالقورب . لا من احدا
فهم بعد فندر من كلة سمك . لم يستبقوا من لسمك ادى نوح به سواحيهم
كلية بحرية بل يستغور من كلة حتى حيا نداء لوجه الملحة لذلك يضر
لهم من البحر بغير ريو من بحر و برهة بسبب ما حله بهم من الاحاب بغير عرو
البحر و بغير هم بغير البحر . اى بعد ما الامال من مرسى سحاب بالقرب من
بحرهم بحرية اى من قصر حوبا . حوى بهم لشرقية . ويمد بمحازاه ذلك لبحر
سلسله من سلال لى نكح حصنه حيله بسفه . سحول اى سهول منبسطة فى عيناى
و من ريو . رسم هذه السلسلة بحليه اصيفه ححر طبيعيا من الس و بغير عطره
من حبه والبحر من حبه حرى . شاهد كى المنطقه الممده من حلاب لى عطره ارفعها
حدر فى ربحه اى رد فى قصر نصف مفروق نعو صف رمية حيفه نادر بها حتى .
لصيفه دم لمرفعات لبارية فى ركوب عبر ان هذه العوصف ارمية بهب فى طوكر
بسطم من منتصف نوسو لى سيمبر وكنافه لانبصوره العقل

شده شى رص اسحا . تحتوى على ١١٠.٠٠٠ ميلاً مربعاً من اجبال والسهول
والاراضى الساديه . بشكل غريبها لصحارى الفحله و لصخور الغاربه . اى رص
حدر عبر مصيفه . لا فى فترات محدودة من فصول سنة . ومن لعجائب أن تعرف ان
هذه الارض نقاحه لى استحيل الحباة على طهره نسوع حوالى ٢٨٠.٠٠٠ من
لر عام اى من يعتمدون اعتمادا كاملا على قطعانهم المؤلفة من الجمال و لابقار و لماعز
و حصان . علاوة على الرعى الموسمية المحدوده فى الصحراء الشمالية يضاف الى ذلك
سليم بحير لحيوانات و هجم فى لاسو و امصرية مثل سوان . ولكن لقبل على

الحبوب كالأمرر يكونون أكثر حصرا من يوسفهم من يجدوا فرص عمر في صيد
بورسبوران من يستفيد من رعيه فخص في طوكر والغرس بعد أن لا مضر على الحبوب
اعمر وأكثر بضاف من يوفر فرصا لرعي ورعاها للحبوب التي تكفي حاجتهم نصفه
عمره يمكن أن يقال أن هذه المنطقة تشهد للثلاثة و لأربعة ألف سنة الماضية هو حيث
لم يتبدل كثير إلى يومنا هذا . قد يكون الظروف البيئية حسن مما كانت عليه في
ماضي ولكن تدهور البيئ سببت حداثه حيرا بسبب وفود الحمل إلى المنطقة ، علاوة
على تآكل القمح عرس ليجا تحت هذه الظروف لفاسية لأربعة ألف عام وكان عليهم أن
يهتكروا نوعاً من المعاشية والتأقلم لهذه الظروف .

يقع في الشمال وحده بورسبور تلال وسهول عساي التي يجمع بمطر صيفه
سحبها ومتقطعه لا يتعدى معدل السنوي بوحسين . من ثم يمكن القول من ذلك . انظر
هذا قدسية حيث بعض الأرض بخصور ورمال تتساقط بعض الأودية التي توفر مرعى لقطيل
من الماعز والحمل التي يعتمد عليها عدد غير كثير من السكان . ترتفع الأرض هنا
تدريجاً عن التل بشكل قسم حبلية بوجه السربط الساحلي لصوب على البحر الأحمر
لا تحجب الظروف المناخية في المنطقة لسحبها عن المناطق الأخرى . لا اد سببها
لأمطار السنوية التي تهطل بانتظام في تلك المنطقة لذلك نجد أن منطقة القصب التي
تمتد من جلايب شمالاً إلى طوكر جنوباً توفر ظروف رعوية ممتازة تحت مجموعة
كبيره من نفوس سحابة وقصودهم الذين يقعون في تلك المنطقة في هذه الجفاف التي
تمتد إلى شهر مارس أو أبريل . بعد ذلك يعودون إلى جهنم إلى السهول والمرتفعات الجبلية
التي تشهد قمة محدة في فصل الشتاء وبالتالي نجد قمم جبال برب و سورنا واث
شمال بورسبور . يصمم أوديه تتخللها مده غنية وصلال واهرة وعشب عرير على سائر
السنة . ثم المناطق لأقل ارتفاعاً (أقل من ٤٠٠ قدم) تشهد خصرة محدوده فقط في
فصل لست . حيث تنحدر مياهها نحو ساحل بحر الأحمر .

يعتمد الناس في هذه الصحاري الشمالية اعتماداً كلياً على حيواناته التي يعنى
بصحتها ويرجل من حينها تحت لأفضل لظروف الرعيه بها . لا نجد هنا لتراجع المكيف
كمشاهد مثلاً في الغرب ، لا في لغت في ظروف محدوده في فصل شتاء . يقصر

اسرحان هنا لمجموعات صغيرة ، أسرة واحدة أو جزءاً من أسرة بخر لنفسها مكاناً نسبياً لا ينفسه فيها أحد . قد يؤدي الترحال لجماعى الى كارتة حقيقية للإنسان وحيوانه . لسبب محدود هنا ن الترحال الأسرى هو الترحال الشائع فى مثل هذه الظروف وهنا يقوم عيان القبائل وشيوخها بتنظيم الملكية والحصر الخاصة بكل قبيلة .

تضاريس المنطقة نفسها هى التى تلعب دوراً رئيسياً فى عزلة الجوى ووحدته . تتحلل هذه ابرقة الواسعة والحافة خيران صيفية تتيح ظروفًا رعوية وزراعية محدودة توفر المعيشة لاسر مبعثرة هنا وهناك مما يعمق من روح العزلة والوحدة بين القدئل البحاوية . فهم البعراليون حتى لاهراد فيلنهم الدين لا يشاركونهم المرى ، ومن تم تتحول هذه الروح الى كراهية عند احتكاكهم مع عناصر وسلالات أخرى يعيش فى مثل هذه المناطق لاهامته بتارىبى أم على وبعض من بتارىبى أم باجى ذوى التقطيع لجميلة والدين يسكنون مجموعات رعوية فى بيئة شديدة لفقير . تعنى هذه القبائل برعاية السلالات المشهورة من الجمال مثل بانفبر وكلايووا نجد على الجوب من هنا الامرار الدين يعيشون فى ظروف مماثلة للمنطقة الشمالية ولكنهم اكثر استقلالاً واستعداداً للاستقرار فى السنة الحضرية . قد يكونون من أكثر المجموعات البحاوية نقاءً ذا م قورنوا بالهندوة ولبتاريين ، علاوة على نهم يتحدثون بلهجة باجوية كلاسيكية رصينة . إشتهرت هذه القبيلة بالشجاعة و لافدام لا يمانلهم فيها أحد من القبائل الأخرى .

نقع على جوب بورنسود ن مباشرة تلال وأودية سنكات وأركويت نجد على الجوب ولعرب من هالك قمة جبل ونربا - آخر معقل لعثمان دقنة الذى تقصنه اكثر قبائل الهندوة وحشية . وينحدر سطح الجبل تدريجاً نحو سهول أودى وتيلول التى تتميز بطفس معتدل جميل ومرعى عنى مفضل لقبائل الهندوة فى فصل الصيف . شكل الهندوة الشماليون مجموعات جبلية لا تختلف كثيراً عن الأمرر والبتاريين فى سلوب حياتهم وهم يعيشون فى لجال المنتشرة بين سنكات ولنحدره نحو برهيب وجرى بركة . وهناك يلتقون بغالبية القبيلة فى القاش وبهر عطبرة . قسمت هذه القدئل لأسباب إدارية الى ثلاثة مجموعات . خط القاش وخط لحدود وخط نهر عطبرة ، إضافة الى هندوة المناطق الجبلية ، الذين يمثلون خط أودى وخط الشمال .

تعتبر مدينة بوم الكبر المقدس للحاوية عدداً وقوة وكثافة قسوة ويفقدون بروج
منه وعكفه الى بحرى بها الامر والساربون فهم يشتهرون برعده لانفار كبر
منها ويستصرون على عدد راعه يقطن في القدس فصلا على مساركهم لساربي
من رضى في سيصره على ساطى لسمالى لشرفى لنهر عصرة الى المنقطة الواقعة من
كبرى الحياة وسدون بمدهر عصرة هذه المنقطة سبوا بالى الذى مكن لساربي من
استغلال حرر وسوضى شهر فى الرعة رغم كل تلك طالت عاليه الهيدوة هناك رعونه
و صبحو بفصون الرعى لشهرى لى شكل مصدر برع مستمر مع لسكره على
الشاصى الاخر من النهر .

يوجد فى كسلا ولندطو المحيطة بها هائل الحنقه وعلى احيوت من هائل وعلى
سه طلى نهر سبب يوجد حمران لذين تمررو سقود وسطى فى المضى يبروح
بعداد لسبوى للامصار فى هذه المنقطة اربعة عشر بوصة والطروف لرعونه هنا مباد
و سبعلها قدس لوشدهه ولى عامر . تحت القبل هد عن برعى واصبحت اكثر ميلا
الى الاستقرار .

من لفت منقطة الرعى ، لتسوى على ساحل لبحر لأحمر فيمتد الى أن يصل الى
البحله الفصله من خور بركة ودلت صوكر . الاخيرة مثل القاش تعتبر منقطة هامة
بررعه يقطن الذى يذهب عاصده الى تلك بقبائل اسى تتخذ من طوكر عاصمه لها هذه
القدس هى الاربعه والاسرف والكمبلات و بوروب والشعايب و لحسب ، ونجمع كلها
بحر م يسمى بالقبال الاخرى هذه ليست قبائل بجاوية بالمعنى الكامل لهذه الكلمة رغم
انها عاشت بينهم منذ القرون لوسطى وتزاوجت معهم وحذب عنهم نغمهم وعدانهم
سبب من عدد فصن طوكر قبائل اخرى مثل لهيدوده والسى عمر وحر . سسر من
الأمراء .

تعتبر معالم الصبغة على الجنوب من دلتا طوكر مرة أخرى ، تصبح الجبال هنا أكثر
عدد وكثافة ويتدرج فى الارتفاع الى أن تصل الى ٩٠٠ قدم فى هموييت على الحدود
السورية لاربية ، ويقع خلفها حصنة بحر بوش . بمانر هذه المنطقة بطقس ربيع
يفصل لامطار استوائية . تكثر هنا ينابيع ليه وتنمو الزهور الحميلة والاعتاب العزيره

سحر لأحمر ثم برؤحه بعد ذلك قد علم من خبر وكفه رنات منها ثم
برؤعه بالحرد ، بعد ذلك قد علم من خبر وكفه رنات منها ثم
رفعه ثم ربه من رخص سحر كذا من رنات من عارف ، ولولا حماية الحكومة
لهم لأكسدهم الهندية أن سحر قد علم من خبر وكفه رنات منها ثم
جديدة والمستوى معيشى أفضل .

، لأن قد سحر سحر عا شوه خبره من سحر صفت سحر فبائل نحويه صرفه
وبسلك لى لم يستطع أن يستطع ، فحذف من المجموعة لأجبرة قد تروجت مع
أنداءهم ربه على أنه قد علم من خبر وكفه رنات منها ثم
أفرد من رنات لحد لحد قد علم من خبر وكفه رنات منها ثم
أصوبها بحد منه كسر رنات من خبر وكفه رنات منها ثم
كافية للتمييز بين المجموعتين .

حرًا من الحلاف بكر فى البلاد مستندة إلى لاسيت حد من دوى لمعرفة بالقبائل
السحابة بأن لاريفه سحر لى سحر سحر سحر ، فحددت بأنهم سلاسة حميرية
نض بمكن أرباع الكمالات من خبر وكفه رنات منها ثم
والحيفة لادن تراهموا كسر رنات من خبر وكفه رنات منها ثم
للقبائل لأحرى ما لاسيت من سحر سحر ، فحددت بأنهم سلاسة حميرية
من خبر وكفه رنات منها ثم لاسيت لاسيت لاسيت صرفه

عموم من القبائل لى صفت سحر فبائل نحويه صرفه
العربية المعروفة ولى لا تحد فيها لى صفة من صفات لاصدة بالدم الحامى .

الفصل الثالث

أصل البجا

ينسب البجا الى كوش بن حام وهاجروا الى السودان بعد الطوفان

من تاريخ الامرار

قد يصعب التسليم المطلق بالعدارة السابقة الى وردت على لسان احد مورخى الامرار . غير أن جميع المصادر تؤكد على الاصل الحامى للبجا وانهم هاجروا فى وقت مبكر جدا من جنوب الجزيرة العربية وعبروا البحر الاحمر واستقروا فى شرق هريفا من النيل والبحر . وعن أصل البجا يقول جوستون ما يلى

يعيش البجا الان فى نفس المكان الذى كانوا يعيشون فيه عندما احتلت لاسر المصرية وادى النيل وتقدموا عبر السريط الضيق من مصر نحو النوبة السفلى ومدوا نفوذهم الى الصحراء المحيطة بالنيل .

توضح النقوش والرسومات الحجرية فى الصحراء الشرقية والتي تم الحصول عليها فى الوقت الحاضر بأن السكان الاوائل لهذه المنطقة يمثلون سلالة بدائية من الصائدين المتسلحين بقوس كبير . كانت لهم معرفة بالحيوانات الوحشية مثل لافياى والنماسب والزراف ولم يتمتعوا بملكات فنية تذكر .

تلت ذلك سلالة حامية من رعاة الابقار (الاجداد الاوائل لبجا اليوم) استوطنت لصحراء ووادى النيل معاً . وكسابقيهم اشتهر هؤلاء ايضا بصيد الافيال والوعول و لظبا والزراف والنعام وكانوا يستعيون لذلك باقواس على هيئة الرقم الانحليرى ٢ اضافة لرمح والسهم ذاب المؤخرة المعدنية . كانوا يتمتعون بحس فنى ؟بش به لان رسومهم الفنية اظهرت قدراً عالياً من الابداع الفنى .

لذلك هابى اخلف مع كين الذى يرى أن البجا هم السكان الاصليين لصحراء الشرقية ، وبالعكس فأتأرى ، بناءً على ما هو متوفر الان من معومات ، بانهم يمثلون سلالة عازية وفدت الى المنطقة حولى عام ٤٠٠٠ قبل ميلاد ، وقطعاً قبل عام ٢٥٠٠ قبل ميلاد حيث عرفوا لأول مرة للاسرة الفرعونية السادسة

وفى الحديث لأخر يرى سيليغمان بنى البج (وبالدت بعض مجموعات البنى عامر
اناصفه بالقوى) يمتنون لمودج الحاضر لقدماء المصريين وفى ذلك يقول

لعبه من لمقع إعتبر لبنى عامر . . قل قائل لبحا بعرا الممثلن لحالين لقدماء
المصريين (والنوبة) وأنهم لم يحصعوا لكثير من التعبير على مدى السبعة آلاف سنة
الأخيرة .

سم 'البوصل لهد' لرى من خلال مقارنات لبعض القياسات لحسده والتي عصدت
بعض المعلومات المحببة لى لا يأخذ بها كثيرا . ويصيف سيليغمان ومعاونوه بان بعض
قياسات قمة ورأس لى عامر يشبهون الى حد كبير تلك القياسات المنحودة من بمانج
من قدماء المصريين . وفى نفس الوقت فإن قدر البج لأخرى مثل الهدنة والأمرار
والبشاريين أعطت قياسات مختلفة ربما لاحتلاطهم بعناصر حبيبة أخرى حد الحصول
الذلى ، مع بعض التعديلات من مقالة لميرى نشرت فى مجلة الجمعية الملكية للسلاسل
وهو نفسه ملحق لمقالة سيليغمان التى نوه لها :

قبليه	عدد الحالات	طول الرأس (م م)	عرض رأس (م م)	طول اقامة (م)
المصريون القدماء من نجع الدير مجموعة ج من النوبة الوسطى النبى عامر الهدنة الامرار البشاريين (علياب)	٤٥	١٨٤٫٨	١٣١٫٥	١٫٦٣٠ (تقريب)
	١٢٢	١٨٣٫٠	١٣٤	
	٥١	١٨٣٫٥	١٢٣٫١٥	١٫٦٤٣
	٤	١٨٢٫٨	١٣٥٫٨	١٫٦٧٤
	١٦	١٨٣٫٦	١٣٨٫٩	١٫٦٦٦
	٣	١٧١٫٧	١٣٥٫٦	١٫٦٨٠

يستخلص من هذا لجدول بان الهدنة طول من لى عامر بمقدار نوصه واحدة
والبشاريين أكثر من ذلك . أما أطوال الراس فليست هالك فروقات بذكر (بسيطة
الستاريين) غير أن هالك فرق واضح فى عرض الرأس ، إذ أن عرض رأس البنى عامر
أقل بكثير مما يجعلهم أكثر قربا قدماء المصريين . ويرجع سيليغمان الفروقات فى قياسات

القبائل البجاوية الأخرى لتثير من الشمال وفي حالة الهدوء ربما يكون ذلك لاسرحتهم بعض العناصر الزنجية .

يدعى سيليغمان ر القيسيات التي أخذ من النبي عامر كانت محتارة من المجموعة الناطقة بالنقري أو من النبي عامر الأصليين كما يقول . غير إنه لم يجد بالصيغ المجموعات التي صنفها بالنبي عامر الأصليين ، لأن النبي عامر يشكلون مراحا قسما من أصول مختلفة . ويعرف سيليغمان نفسه بأن النبي عامر لا سلون شعباً وحدا محاسبا وإنما يمثلون كلاً تكون من مجموعات سياسية متباينة إلا أن سلوكهم نأثر كثيراً بسفاه السامية التي انحدرت منها لغتهم .

ومن الواضح أن سيليغمان لو إختار نماذج من لنبي عامر الناطقين بالنقري من الألد ، ولوبلينوهو والأسفدا والقبائل لقريبة منهم يوجد فيهم نماذج حية لأهوم يمثلون الأصول لحامية القديمة والتي خضعت لتأثير سامي من سناً وحضرموت منذ ٢٠٠٠ عام ولم تتغير كثيراً بعد ذلك . خضعت هذه القبائل بعد سقوط ممكة أكسوم في القرن التاسع الميلادي إلى إستعمار من عناصر غير حامية فرضت عليهم نظاماً طفيف صارماً يمنع بموجه الزواج بين الطبقتين مما نتج عنه تغير طفيف في النسب الحسنة لقبائل النبي عامر المستعبدين .

وهي الجانب الآخر إذا فترضنا ، وهذا أقل لاحتمالات ، أن سيليغمان استقى معلوماته من النبي عامر الذين أطلق عليهم البجاويون (عد كوكي وبب عوب وعد لحاس وغيرهم الناطقين بالبداوييت والنقري في أن واحد) ، أو السكابين واللت ومباهم لتحدثين بالبداوييت لاكتشف . في رأي ، أكثر النماذج الحالية شبيهاً لقدماء المصريين لأن هذه المجموعات تعتبر من أقدم المجموعات البجاوية التي لم تختلط كثيراً ولم تتبدل سحناتها الحامية المتمثلة في القامة لقصيرة والحنك المنبسط والذلف المسننم و شعر لاسود المتجدد والكثف العريض والخصر النحيل والأرجل الرقيقة الممثلة بالعصا وهذه مجموعة بدائية صغيرة شديدة العزلة ، عاليبتها هي أريتريا ولا يبعدى بعدها هي السودان أكثر من أربعة ألف شخص .

ويرى هولير أن الهددوه الذين يمثلون مزيجاً من الزوج يعتبرون سكان الأصليين



هدندوی علی ظہر جملہ

للصحراء. لشرقية مصر وكانوا يعمرون في سديهم مرهم كسلاله ربحه في ايامهم في نفس الوقت كانوا يتاحرون مع الفينيقيين ولهم علاقه باللغة الهلنستية كرومان. مع سريه الاسر المصرية من هناك .

نظرية فولبير هذه رغم انها جدادة ومتيرة الا انها تفقد الاستدلال صوبه وبسبب عدم الدم لزجى في الهندوة أمراً يحدح الى مزيد من التفسير وهي رايى ان الدم الهندي لو لم يعد احيراً الى الهندوة لوجدت ان تركبة مماثلة له في لغة السانسكريت البشاريين والامرر والدين لا يوفق فيهم من هذه الصفات

وعن قصر الحمجمة في البجا الشماليين لا يستبعد سببها ان يكون ذلك بسبب البحر الأحمر ولكنه يرجح ان يكون النير في المقام الأول من سلالات حري من سانسكريت وثناء طرحه لنظريته هذه يحاول سيليفمان ان يتجاهل التسلسل المستمر لعناصر سانسكريت خور بركة منذ القرن السابع الميلادي أو قبل ذلك . هذه العناصر المتسلسلة كانت في ايام متواصل ومكثف مع البجا مما كان له الأثر الواضح على البجا الشماليين وقد يكون ذلك هو السبب الرئيسي في القامة لطويلة والرأس العريض

هناك قصص وأساطير عربية متواترة تتحدث عن التسلسل لمنى الى السودان منذ القرن السابع الميلادي أو قبله . ولا يستثنى من ذلك هجرة ماعقل الاسلام من فدان البجا والحدارب الى عيتاي ولقنب والمعدام . وفي القرن التاسع والعاشر وفدت مجموعات عربية من القبائل العربية الباحثة للذهب وبالذات قبيلة ربيعة التي تزوجت سكانها مع الحدارب الكواهلة في القرن الثالث عشر . ترامت تلك الفترة مع وهود (عر سواكن) فبدأ صعيد أخرى مثل لحنقة والأرتيقة والأشراف والحسناپ واستقرارهم في مناصب مختلفة من البجا واختلطوا معهم لدرجة أنهم اخذوا عنهم اللغة والحدارب مما يعكس انعكاساً سريعاً لنظرية سيليفمان التي تفترض بأن اختلاط لعنصر الحامي ولسامي يقود بالضرورة الى هيمنة العنصر السامي وفرض لغته ، بمعنى آخر اختلاط لعنصر العربي والحدارب يؤدي حتماً الى غلبة العنصر العربي .

علاوة على ذلك فمما يلفت النظر ظهور الهندوة والامرر والبشاريين ككيانات قبلية مستقلة اعني عليها العنصر الحامي) في القرن الخامس والسادس عشر بدأوا يتوحدون منذ ذلك

عائل عبر حدود هذه صحاره كثرة ممارسة وسط الهندود والمثل حدد
سرسى عيسى نادر ينزوحون مع لعدسة ونساري عطره مع الحعين والمرف
هالت نص فذل هندوبه حري علل استاريات والحملااب و لفرعب ترجع صولهم اى
لشكرية والجعلين والفونج على التوالى .

ذلك لم يكن عرب ان ينوصر سلعمان ومعوبوه من الناحين فى بدايه القرن لمصى
لى عبرات عميقه فى لتركيبه لفرقه للنح . ويكون محقق فى الوقت الحاضر ان فلان
النح لان يمثلون حصه حاميه ساميه ويمكن تقسيمهم الى مجموعتين رئيسيتين
مجموعه الاولى هى المجموعه الجنوبيه اى شعب عبيها لدماء لحاميه وكها تتحدث لغة
ساميه نخلصت هذه المجموعه حدث من افصاع وعبوديه رامبا فروب طوبيه للمجموعه
التبسيه هى مجموعه لشماليه ذات لدماء المحتلصه و لى تتحدث لغة حاميه وتتمتع بصفت
وقسمات حاميه اكثر من المجموعه الجنوبيه والفارس من المجموعه الشماليه لا يجد له
مبيل وسط افراد المجموعه الجنوبيه . الذين ان لم يتحدوا ونجيمع كلنهم فابه سبيل
هربهم والعلب عليهم . اصبح البحث عن اصل البجا من الامور الشانكه و لقابله للنفس
و لسطرون الدراسات الاثريه فى المنطقه قد لا تشفى غليل علماء لتاريخ والسلاات عن
هذه الموضوع لان هذه الآثار شحيحه وقد لا تكون ذا قيمة اثريه

ان لفلان الموحوده شمال بورتسودان ودرهت يمكن ربطها بالعرب الذين وفدو
لمنطقه فى لقرون الوسطى بحثاً عن الذهب . يُضاً لقبور الكسرة فى مامان وموقع
حري لم تعرف اصولها بعد ولكن يمكن ارجاعها الى العصور الوسطى . الآثار الموحوده
فى اسادرهت ، خف عقيق ، قد تكون من الاهميه بمكان ومن المحتمل بم ساؤها على يد
لطانسه . اضافة لذلك ان المقابر العربيه ، على هيئة دين السمكة ، فى أركوبت نحدح
لريد من لبحث والتنقيب للكشف عن اصلها وتاريخها .

الفصل الرابع

أرض الذهب والبخور

(١٥٠٠ - ٥٠٠ قبل الميلاد)

وأحضرت معى الذهب الخالص البراق

فليكر

وفرحة الفارس المغوار

لا يعرف بالحديد ناريج اكتشف لذهب فى لجبال التى تقطنها قبائل البحار الا ان بعض المصادر ترى ان ذلك كان فى لفترة ٣٠٠ - ٢٥٠ قبل الميلاد . ويعقد أيضا ان أول حملة لاستغلال الذهب فى جبل لنجا كانت على يد الاسرة الفرعونية الخامسة (٢٧٤٥ قبل الميلاد) . تزامنت هذه الفترة مع حكم سى التانى ٢٦٤٤ قبل الميلاد والذى أرسى القائد سيبني الى لجبوت واجبوت الشرفى للمنطقة التى سميت فيها بعد بأرض الالهة نبط جلبت هذه الحملة معها الى مصر ، صافى للعاج ولذهب والجبوت ، بعض الاحجار الكريمة والصمغ والبخور لتي كان لها دور هام فى الصقوس لديبه والاعمال السحرية لتي كانت تمارس فى مصر القديمه . وهكذا تواصلت الحملات والرحلات التجارية بين التقري وموانى وادى النيل حيث درت أرباح مجرة من بجاره لعصور واللبان والصمغ للسبعة قرون اللاحقة . اشهر هذه الرحلات كانت حملة الملكة حتشبسوت ملكة الاسرة الثامنة عشر . تمكنت هذه الحملة من ، اكتشاف منطقة لبط حوالى ١٤٥٠ قبل الميلاد وجلبت معها كمية ضخمة من بضائع لتي إحتوت على لآنى

مجموعة كبيرة من الاختبار والاعتساب لعطرية ، شجر المر وصمغه ، الاسوس ، العاج الخالص ، ذهب أمو الاخضر ، شجر القرفة ، بحور حجرية وشجرية ، موا لتحمين المختلفة ، لقروء بأنواعها ، الكلاب ، الجلود والفهد الحنوس .

وفى نفس الفترة ابدى الفراعنة اهتماماً اكبر فى توطيد أو صر التجارة بس جرر ابجر لأحمر وجزيرة سان حون التى تزدهر فيها تحارة الأحجار الكريمة ولزهرحد والنوبار لحقيقى اضافة لذلك كان هناك طلب متزايد لدروع السلاحف هذه استجارة النى بذات تكتسب شهرة متزايدة حتى القرون الوسطى .

شهدت مدجم النوبة ولصحراء اشرفية ، بالقرب من الحدود السودانية المصرية بحالة ، بتباطؤ متزايداً أثناء حكم لامبرطورية الوسطى (الاسرة الثانية عشر - الاسرة الرابعة عشر ، ٢٠٠٠ - ١٥٨٠ قبل الميلاد) . فى تلك الفترة بالتحديد عرف الجاوى لأول مرة لدى الاسرة الثانية عشر حيث ظهرت صورته فى إحدى لوحات المقابر فى مير بمصر . كانت هذه الصور لاشخاص ينمرون برسقة الساقين وإسقامة الأنف وصمور الصدر ووسعه الصدر وتعلو رؤوسهم كتله كثيفه من لشعر كل ذلك مانراه مطابقاً لبشاريى أو هندنوة اليوم .

لم يكن إنتاج الذهب فى فترة الاسرة الخامسة عشر ولسادسة عشر بالمستوى المطلوب . عبر أن مجئ تحتمس ، فرعون الاسرة الثامنة عشر حوالى ١٤٢٠ قبل الميلاد أعطى دفعة وطاقة جديدة للعمل بمناجم الذهب فى المنطقة . أولت هذه الاسرة إهتماماً خاصاً بالتنقيب عن لذهب حيث عينت لهذه المهمة حاكماً خاصاً سمي " بالحاكم القبطى لأرض الذهب . وتأكيداً لاهمية الذهب قيل أن دخل تحتمس الثالث من ذهب النوبة والاقليم لسرقى وصل الى ٢٤ رطلاً من لذهب الخالص . وهكذا بدأ الذهب يحتل المرتبة الأولى فى المقارنة للفضة التى كانت لها الصدارة فيما قبل

الحقبة . نتاج الذهب فى عام ١٢٠٠ قبل الميلاد إذ تراجع انتاجه الى ادنى مستوى ليصل الى ٦ ٨ رطل فى العام . غير أن مجئ سبتي الاول ، الاسرة التاسعة عشر ١٣٢٠ - ١٣٠٠ قبل الميلاد ، كان حافزاً جديداً لرفع إنتاج هذه اسلعة الهامة وقد بلغ من اهتمامه به وجه حملات استكشافية جديدة نحو الجنوب للبحث عن مناجم جديدة فى المنطقة كما حاول أيضاً ، ولكن بدون جدوى ، تطوير مناجم درهيب فى وادى العلاقى . صافى لذلك يرجع له الفضل أيضاً فى وضع قدم خارطة فى التاريخ مدد درهيب . وادى حمات ، فضلاً عن تحسين طرق المواصلات بين منطقة المناجم ووادى لى وذلك بحفر بعض الآبار على طول الطريق .

نواصلت بعثات التعدين مع رمسيس الثانى ١٣٠٧ - ١٢٣٣ قبل الميلاد الذى أمر بحفر بئر جديد واصلاح البئر القديم لتوفير مزيد من الحماية لقوفا الذهب المرحل الى ممفس أمر اممحت الثالث ببناء قلعه فى سا على الطريق الذى يربط بين النيل ووادى العلاقى

ينواحد هي حبال بحر لآخر واستمر هذا حتى في نورسبور
وعطوره . كثر من ٢١ مبعوثا في عام ١٩٠٠ لزيارة هذه المباحث في
عمدة طويته بصر الغاية في كثر من ١٠٠٠ من عبيد مصر في
أي خلل في مدخل الأمم . ثم سعى في سجنه في سجنه في سجنه
ولكنها فعالة تطهير وسعة أدهم . في ١٩٠٠ في ١٩٠٠ في ١٩٠٠
يرجع تاريخها إلى العرب الذين استعملوا في سجنه في سجنه في سجنه
استخرج الذهب بكثر من الفسوف ، لأرهابه في سجنه في سجنه في سجنه
تلك المفاجم ، عدهم استعابهم ، المحرمين ، وسرى آخر . في سجنه في سجنه في سجنه
داخل حدود مملكتهم . هذه المحسنة كتب عنها في سجنه في سجنه في سجنه
يكن بهم هم غير استمرارية استخراج الذهب بكثر من الفسوف .
تشرف على حمايتها والحفريات عليها . في سجنه في سجنه في سجنه في سجنه
قبل الميلاد) إلى السلطان في سجنه في سجنه في سجنه في سجنه
٥٠٠٠ جندى و ٢٠٠٠ من سجنه في سجنه في سجنه في سجنه في سجنه
الحمير إذ لم تعرف انصافه لثمان مائة . في سجنه في سجنه في سجنه في سجنه
حمايتها قوات نوبية تسمى ما تشاي .

لم يقتصر نشاط فراعنة لاسرد لعسرين . في سجنه في سجنه في سجنه في سجنه
قبل الميلاد) على تعذيب لدهم في سجنه في سجنه في سجنه في سجنه
التي شهدت رواجاً مدهشاً لطير في سجنه في سجنه في سجنه في سجنه
بدأ الاهتمام بهذه البحار بقل ، بذلك في سجنه في سجنه في سجنه في سجنه
وهجرت الطرق بحارية الموصلة في سجنه في سجنه في سجنه في سجنه

كما ذكرنا نفاً فإن فراعنة كثر في سجنه في سجنه في سجنه في سجنه
(غالبيتها من المرتقة لاجل) وذلك لفرص استمراره في سجنه في سجنه في سجنه في سجنه
المهاجم من عبيد وأسرى من هجمات أسحا المتكررة ، والذين في سجنه في سجنه في سجنه في سجنه
قه غير مبالاة للحرب . لم تنطرو سحيلات قدماء المصريين إلى سجنه في سجنه في سجنه في سجنه
الشرقية . ولكن كلمة بوك إلى وحدت على سجنه في سجنه في سجنه في سجنه في سجنه

بها غير انه جاء ذكر مجموعة سميت بعنو وتسكن الصحراء الشرقية وينسحبون
بالاقواس قد يكونون في أغلب الاحيان هم البجا .

ثم بهم الفرع كثرنا بحكم إقيم ابجا وكن اهتمامهم بنصب على حماية المناجم
وسفع بحملات تأديبه متى ما سددت لضرورة لذلك . والسبب في ذلك ان لاقليم كان
فقيرا وبولا وجود الذهب فيه لكن نسب منسب . اصف لذلك ان البح كانوا اقواما بدنيين
يعيشون في مجموعات صغيرة معثرة لا تشكل خطورة تذكر للفرع عنه الذين نصب همهم
على تركيز قدر بهم ومواردهم لاعداء . أخربن بفوقون ابجا عدة وعددا . لذلك لم يرد ذكرهم
في سجلات الفراعنة حتى عام ٢٠٠ قبل الميلاد .

يعتقد ان اور سرور د رضى لسكان الصحراء الشرقية والذين عرفوا فيما بعد بالسمرير
و ابجا كان في لاوديسة لهوميروس وفيها يقول .

جئت الى قبرص في فينيقية ولى المصريين

وبين الاثيوبيين والسيدونيين والاريميين

ربط هـ لسرد بربره ميثاليوس لمصر ورحله الى الحدود الأنثيوبية (حيث تقع بعض
مسمير ب صيدا لى كسب تتاحر مع الجنوب) وإقتناؤه ثروة طائلة من الذهب و لعاج
ليس من المستبعد ان يكون الاريميين هم نفس السمريريين ، وهذه متردفت لوصف
وحت لسكان برجر الفطيين خلف لحدود مصرية ويشمل ذلك لبحا لقديما .

ذكر هيلودورس مصران إميمب ، لى كتب عن تاريخ اثيوب في القرن الرابع
الميلادى ان لبحا (الليميين) كانوا يحصعون ملوك مروى وباصرو ملوك الاسرة الخامسة
عشر فى حروبهم ضد لفرس وذلك مقبل عفائهم من الجرية لمدة اربعة عشر عاماً ويذكر
ان سبتاسين حاكم مروى فى عام ٢٩٠ قبل الميلاد اعار على مناجم الذهب فى لصحراء
سرفية واحصر معه ٨٠٠ رطل من الذهب لخالص ولخام ومليون وربع المليون من
لحاسية . ولأشك ان لرقم الاخير مبالغ فيه لان المنطقة فى احسن ظروفها لرعية لا
تستطيع ان تسبوع حتى ربع ذلك الرقم ، حتى وإن اضيفت لذلك الاعنام والماعز .
اعداد الحاشية فى لوقت الحاضر لا تعدى ١٧٥٠٠٠ رأساً من الحاشية .

سبب ضعف لمات المصريه فى حجر مدحم الذهب ، وبذلت سبل سر له به قرون على منطقه صحراء الشرقنة ولجبار لواععه بين البحر والبحر . ثم يسرع عن هذه المنطقة نوسكنها نى حتى عام ٢٠٠ قبل الميلاد نى حتى مجئ قود سره لاحد لاس بدو يستكشفون المنطقة الساحلية فى اتجاه الجنوب .

بعد موت الاسكندر المقدونى عام ٢٢ قبل الميلاد إقتسم قوده حرم من طورته الواسعة وكانت مصر من نصيب بطليموس الذى سعى سنون لمبره من الحكم للاحقر به والذين حمل جميعهم نفس الاسم . وتحت امره ذلك غاب وحلفه تجدد مجد مصر مرة أخرى حيث شطت مره أخرى البعثات التجارية المتجهه لجنوب لبحر الاحمر مما كان له الفضل فى نعدش طرق المواصلات ومحطات النمرين على طرق الممر لهالك ، فضلا على اقامة بعض الاسواق على امتد لاساحل . مثال لهذه لاسواق يمكن ذكر مرفأ برينيس الذى أنشأه عام ٢٧٥ قبل الميلاد بطليموس الثانى ، فلاديفوس ثم بطليماس ثيرون (عقيق) فى عام ٢٨٥ قبل الميلاد وحيرا بيرينيس لذهبه الذى نسب أخيراً فى عهد بطليموس الثالث ، يرقيتس .

تحول كلا لمرقنين ، برينيس وبرينيس الذهبية الى موانى راحره وسطه بفصر بحاره لعج والصمغ ودروع اسلحف و لابسوس والنوس والماس ، فى حين أن دولس سهر بتجارة الرقيق ولكنها أيضاً تميزت بتجارة الافيل وذلك بفصر موقعها بالقرب من عابه البوبه الكبيرة التى تعج بالافيال . ابهر قود الاسكندر بالمقداره لفتاليه للافيل لافريعه لنى شاهدوا نماذجها لها فى الهند . لذلك تم ييخل لصلاسة عهد ، ولكن بدون حدود فى نرويض لافيل لافريقى لمثل هذه الاغراض شهدت تلك لفترة عداد كبيره من الافال فى وديه بركه ولايقب و نغش مم شجع بطمياس لاشاء فاعده نصيدهم ثم برحيلهم لى مصر .

ذكر ن بطليموس الثانى ، فلاديفوس ، رسل حد قواده ، ادييس ، ليعربى بل احصه وبعبرها بقوه من الرماه لصد هجمات البج الذين كانوا يجسرون روى السهم كم الحف هذه المحصة بالعمار لمهرة لذين برعو فى بناء المنازل والمعابد والمررع وكن بطليموس الثانى فشل فشلا ذريعاً فى اقناع لقدمر لمحطة فى الاقلاع عن كل لحوه

الأفكار بعبر منطقة سدرهيب . لى سعد ميلا ؛ حدا لحيوب من ميد . عقيق لحدلى
حدى المواقع لتي يمكنها ن تحتوى على آثار ذئب النصييموس . كما يمكن ن تحتوى
أصب على آثار بجارة الأفبال لتي شهتت به لمصفة . وذلك حسب ماورد فى الوثائق
و لقوس التي وصت الى بريد فى لوقت الحاضر . بذلت لأبد من تكتيف لبحث لأتري
الدقيق فى تلك الرقعة والمناطق المحيطة بها .

صيد الافيل و سرف تم إرسالها عبر البحر في سفن شراعية صمممت خصيصا لذلك لغرض كس من الاعمال لسفافة والمصيبة والتي كانت تتطلب جهد ووقت ضافيين يتم سحر هذه الافعال الى برنس ومن ثم كانت ترحل عبر الصحراء الى كوينوس و امبي على النيل ويعود لسفن من هناك محملة بالسنعر بنموين محطات الصيد هي بلاد الكهوف والصومال يستدل على صيد الافيل في تلك المنطقة والمحاطة التي رتبطت بها هذه العملية بوجود صخرة كبيرة هي وادي عباد ، على الطريق الموصل بين بيريس والين ، نفس عليه صورة فيل كبير وبالفرد منها يساعد صائد عريقب يؤدي لصلوات شكر وامتنان بعودته سالما من رحبه صيد الافيل في الجنوب ايضا وجدت على النص تذكارى لبطليموس الذي العبارة لتأليه ، رسر الى سد في كنسه من المسدة ، الافيل الى اسره هو و بود في اشوبيا وبلاد الكهوف تم رسر الى مصر حيث تم ترويضه لاساليب لقبال والحرب ، ثم هناك لاهدا ، الخاص من لاسكندر صائد الافعال في عهد البطليموس لربع فيلوتتر ابي الالهة ايريس ، لهة الصيد ويقرأ لاهدا على النحو التالي

مدينة عن الملك نطليموس والملكة رسيوى وبطليموس ابن فيليوبار المقدس . سليمان بطليموس وبرنيس . ابنة برقيث المقدس ، الى الأنه ابريس . ملهمة النصر والخط في الصيد . و لاسكندر . بن سنديوس الاوريانى . لذى خلف شاريمورتس . لذي بدا صد الافيل . وكذلك ايوسيس ابن ميوربولوس لانباى والقائد وكل الجيود الذين خدسوا تحت امرته .

اسر وترويض الافعال الافريقية لم نكر من المهام اليسيرة . لذلك وقف شحهم بما في عهد بطليموس ارايم او خلفه بطليموس الخامس بيفانس . عدم صلاحية الافعال الافريقية

للحرب حيث من وقائع معركة رفيد عام ٢١٠ قبل الميلاد حتى تنصرهم بضموسر
فيليبتر لا نألفياله لأفريقية (وكن عددها ٢١ قبل الميلاد) لم تحت اسم أهل بوسس
الثالث الأسيوية المنشأ .

لم تقتصر جهود الأحاد الأول على إبعثت تحارة البحر الأحمر وصعد الأقبال لأعراض
الحرب والقبال بل أمد نشاطهم إلى عادة لتعدين في الصحراء الشرقية التي ظلت تسج
لأهل إلى لقرن الأول قبل الميلاد وتعلق بعض المصار على أن السج لأهل في تلك
لقرن فأقوا ما تسج طوال فترة الأسرد عسرين ، غير أن وسائل التعدين وتعدين أعمال
وسخرهم بم تختلف كثير عما كانت عس في أيام لقرن عس

ويروي ديودورس سيكيوس أن ملوك مصر كانوا يدفعون للعمل في المناجم الحربية
لعهده وسرى الحرب وعمرهم من ستمين . لم يرس في تلك المناجم هؤلاء الأشخاص
بمفردهم بل أرسل معهم جميع أفراد أسرهم وذلك لرس من الرهيب ولخوف لرس
الرس كان العمل يساقون إلى العمل تحت وطأة السطاط التي تسار على ظهورهم حيث
دهو . لذلك كانت مجموعات كبيرة منهم موت بسبب هذه المعاملة لقاسية

أما الأجدد للآحقين فكروا أقل اهتماما بالمنطقة مما تسبب في إهمال لشرق
لصحروية المؤدية للمناجم ، وبالطبع سمل لأهمال الآثار التي حول المناجم ومد أيضا
للى لملوني الموجودة في المنطقة مما أدى إلى نهاية المطاف إلى إهمال كامل سعين لأهل
في عام ٤٠ قبل الميلاد .

قلد البطالسة الفراعنة في حملاتهم الاستكشافية في مناطق الجبال واستقروا في فلاء
ومحطات تجارية شيدوها لتوفر الحماية المطلوبة لتجارتهم لقادمه من بلاد الهند والحرر
العربية . لذلك لم يكن لهم اتصال بسكان المنطقة ، وللمعلومات المتاحة لأن ما هي لأصدي
لفصص وروايات الرحالة الذين ساروا بالمنطقة ، لذلك سجد الأخذ بها بحذر . لأن رحالة
مثل ديودوراس سيكيولس ، الذي يعتبر كثرهم صدقا واتزاناً ، يقول في وصفه لسكان
هذه المنطقة أن الشمس في منتصف النهار في تلك البقاع تكون سديده لحرارة لدرج
أن شخصين يقفان جنباً إلى جنب لا يرى أحدهم الآخر لكثافة الهواء بينهم ، وأن قصعه
من اللحم إذا وضعت في إباء يتم طهيها وقتياً بسبب حرارة الشمس ويوصف بلبي

وهو كتب حر . سكن منطقة فيقول بأنهم اسس لا رويس بهم وان عيونهم عذرة لمسوى
رون كتابهم ما الكتاب الاخرى . الذين يصفون لى مرسه قل عم ورباهم
فيحقونهم هم والنوبه بالاثيوبين الذين يعيشون حيه ساين

لذلك يمكن القول بان كتب ذلك العصر كىو يصفون بعدم لدقه ولاسيرسل
واسركر على لوصف والمناحه لهيه غير ان هـ لا يفى بان سكن تلك المنطقه لم
يكونوا الا قوما نادىر ، يعيشون فى الكهوف ويسلحون ، لافوس و لسهام ويدكروهم
دائم بيهد سكان كهوف وول من اصو هذه التسميه عليهم هو اعدا رسيديس الذى
استند فى ذلك على اسنوب سكنهم بالكهوف وياتى فان كى الكتاب للاحقى له
سندو هذه التسميه منه ام فلوير فيختلف مع هـ لرى ويؤكد بان هذه التسميه
طفت على عمار المدحم وسده الكهوف وليس لسكنها لم يحدد بعد الفابل او
المجموعات لى صنف عنها هذه التسميه غير ان هيرودوتس . الذى كتب فى بداية عم
٤٠٠ قى للملاد تحدث على اكلى الاسماك الذين يعيشون بين سور وابحر الاحمر
وهو يكون هؤلاء من سكان كهوف حـ فى وقت لاحق اسفرق من كلى لاسم كوساكنى
الكهوف او قبل ر المجموعه لاحد هـ اكر يقدس لصحراويه بدسه وفى ذلك
لسيو يذكر ديودور من سىكولاس عم ١٤٠ قبل الميلاد بانهم قوم عراه سدع بينهم
لروحى . وكغيرهم من اكلى الاسماك ، فهم لا ينعاطون الحمر ويعشون فى كهوف او فى
حيام من لفس او تحت لاشجار او فى حفر فى البحر ، كما ذكر بانهم يقدرون موتهم
على قمم التلال . ويهلون عليهم كمه كبيره من لرب و لجره هذه مدرسه ليس
عرسه عن حد اليوم فى حاله دفن موياهم تم بصيف كتب فيقول بانهم سعدون على
للس المزوج بالدم ويسسحون بالقوس والسهم و لهرات واسروع المستدره فـ فـ
ارسيديس يقول معلق على عاداتهم ، نهم لا يدعون لى كس حى ، سدا كى م حيوان
ان يموت موت طبيعى . وعندما يقدم اسن بالاسنان و الحيوان او بصت بمرض عسل
فبهم يقتلونه . كما ذكر أيضا اكلى اللحوم والحراى والحتيرات وغيرهم من مجموعت
لتى تتغذى كالماشية على العشب .

ويمكن ان نخلص الى القول بان البجا فى عهد لفرعنة و لبصالسه او حى اخرا

وسواء ، لم يصيفهم بأكلة للحوم و لاسماك والجرد أو حتى لعشب فهم من غير ست لم يكونوا غير رعاة بد سر يعيشون فى الكهوف أو فى بيوت من القش أو الجنود . وفى هـ يمكن لأحد بوصف ديوراس عنهم لما يحتوية من نطاق لاستوب حبيهم الحالى . هـالك اعتقد وسط بعض لبد ليوم بأن أجد دهم لاواثل كانوا من لرعاة ساكنى ، كهوف وربما عـش بعض منهم حتى تحت الأرض . ذلك ممكن ، أن يكون صحاحاً لراى ، لقلنا سـهم رعاة يعيشون فى الكهوف ، أما لمجموعة لتي كنت تقصن بالقرب من النيل فكار عليها أن تتألم وتتكيف مع لصروب الجديدة ، ومم يوضح ذلك تلك لونيقة (من عهد البطالسة) لتي تتحدث عن عـفـت أوقع بشخصين من ،سوان لشرب لحرر مع لشميين اضافة لجنايات أخرى .

يمكن عـتـبر حكم البطالسة لذى امتد لثلاثة قرون ولدى تم فيه استغلال دهم المصلحة وتصوير تجارة لبحر لآحر نفع وجدى من حكم الفـراعة لذى امتد لفـرة أطول مـ لمرتزة الاغريق لذين ،ستعملهم البطالسة فى حراسة وإدارة ،لبحر والموسى وبصرىف لبحارة فيها لم يكونوا لا لمجموعة من المغامرين ولالزت دكراهم حية لى هـذا ليوم فى ذهن كثير من الناس . عاشت هـذه المجموعة لتي سميت دلروم فى منطقة الساحل وكابوا يمثلون سـلاة بيصاة طويلة القوام ، عاشو وتزوجو مع لبحا وساهمو فى لسا ، وتطور الزراعة فى المنطقة . كم استطاعوا أن يـتـقـلـمـوا نفسهم للطروف المحلية ويقال لـ هـذه المجموعة استطاعت أن تتفـذ الى جبل التقرى بطرق سـمـيه ،أو غير سلمية حيث كان لهم دور ، كما تقول الروية ، فى قيام وإزدهار مملكة أكسوم .

هـناك دليل آخر لـتـأثير الاغريق على لبحا وهـو ،أن مجموعة كبيرة من القـدس لبحاوبه كانت تعتقد فى ايزيس وأوزيريس وسيرايس وغيرها من الهة الاغريق . وبصفة عامة كان لبحا يتعاملون مع كل الاديان بكثير من السطحية . رغم ميلهم ،لشديد لإعتنق دينه لغريب . فمثلا نجدهم فى يوم من الأيام كانوا من عدة الاوشن والارواح ولاجد د نم نحوبوا لعبادة ايزيس وأوزيريس ، الهة الاغريق . وتحولو مرة أخرى لعبادة الهة السـمـ والارض ، كما كان الحال فى آسيا . ثم بنقلوا الى ايهوديه والنصرانية وأخيراً الاسلام ويعلق بيركارت عن اسلام الـهـدسـوه والبشاريين فيقول بأنه كان اسماً لأنهم لا يؤدون

السعائر لدينية يمثل الثقل السريع مع الاديان وسط البجا ظاهرة غريبة لانهم في
سوحى لآخرى يمثلون محنمعا منغلغا وستمناً . نض من احدثق الشنة ان احاء
يكوبو على قدر كبير من لندير ، رغم اعتناقهم للاسلام بالاربعة قرون الماضية . وفي
عتفدى انهم لا يمانعون في التحول الى أى ديانة أخرى حتى ون كنت تلك
الكونفوشيوسية .

العصل الخامس

السبثيون ومملكة اكسوم

٧٠٠ قبل الميلاد - ٧٥٠ ميلادية

الأرض التي نظمتها الاخنحة تقع خلف انهار اثيوبيا

إسايأ ١٨ - ١٠

عن السبثيون الذين كانوا يسكنون نهره لعابه في جنوب جزيرة العربيه بحر الاحمر بحثا عن التجارة واحتلوا جزيرة ذهب لساحله ومن ثم توجهوا الى البحر ليستقروا في ارض بقرينب الواقعة الى غرب يعرف بجزيرة سبوت كان بها من سبق من مجيئ المسيح قد يكون ذلك في عام ١٠ قبل الميلاد في عام ٧٥٠ قبل الميلاد .

انحدر السبثيون من جنال حصرموت وكانو يمتلئون ثرى من قروى قبله فحدثوا لكثرة وقد احتلوا جنوب لجزيرة العربيه في حوالي ١١٠ قبل الميلاد ثم غلبوه وانصهروا مع سلالة كوش العربيه التي استعمروها رغم ذلك الاخصار الا ان انصدهم لفحطان كان من شأنه ان يوفر لهم مكانه متميزه مهدت من استغلالهم سكوتهم من كانوا يعملون في قلاحة الارض ورعى ماشيته ونجده لبحر

عندما استقر المقام بالسبثيين في تلك لنيار الحديد بدأوا يتوغلون من محبتهم انحدريه الساحليه الى المرتفعات الخلفيه حيث وجدوا طرقا مباحه سهله ثم عهدوه في جنوب لجزيرة العربيه سميت هذه المناطق الخصبه بنجو معدا لصف وامطار جزيره وكثفه صنله عن السلالات النحوة لقديمه لتي كانت تدعى الرعى وهدت بدءا باحرون في لبح والذهب والطور ودروء لسلحف و لاسوس ودرجيت ذات بحرهم يتوسع ويفودهم يعظم مع مكن لهم استبداد لكامله بغير لحيته وباد الى صبح فرار الغنل الكوشية بقومون بجمع لخطب وحب لمد نفس لهم لتي كان يوكلها لجددهم لبق ل الكوشية بحصرموت لم يقصر لهنمه على هذه البه حتى فقص بل تعدت الى بواحي حري تمتد على فرض لعنهم وديتهم ومقاهمهم الاقصاه وبعض من ملكاهم

السبثيين .

أى : نصدى لارل موصوع اخذ ورد ، ولكن الذى لاشت فيه هو أن مملكة اكسوم ، قامت حولى عام ٦٠ قبل الميلاد وأن قبمها تزامن ، كم يقول بضج ، مع سقوط مملكة نسه وملكها كندس على يد بترونس الحاكم لرومانى لمصر عام ٢٢ قبل الميلاد . كما نر من لك يض مع هزيمة السبثيين على يد الحميريين . أشهر ملك لهذه المملكة هو اس زوكلس . اسى حلف مؤسسها ثم دخل فى حلف مع الاغريق ووسع رقعة مملكة لتتس لارصى بواقع سير حور بركة ومصيو باب المسب . وهى وح ازدهرها توسعت فى المملكة جنوباً لتشمل مدصقة ب فى المحيط الهدى وغرباً حتى مسارف ودى سيل كان لب الشمالبور من رعايا هذه المملكة وساهموا فى جيشها ونساركوا فى مد نفوذ حتى حدود مصر . كم شاركووا أيضاً فى القضاء على منافستها مملكة حمير باليمن

لسر هال سر تاريخى موثق لمملكة اكسوم ، ولا يمكن وضع وزن كبير للون هذه المملكة من الانوبيين ، كم ورد فى كتابات بروس وسولت وبضج وغيرهم الذين حاولو ربه اثيوبيا واكسوم بسلالة الملك سليمان وكما يقول بضج فإن تاريخ اكسوم منذ ميلاد المسيح ، لاحف يعتبر مرحلة غير موثقة وأن تاريخ اثيوبيا لم يبدأ الا عام ١٢٦٨ وء ، ١٢٦٠ وفى اعتقدى بأن ما يسمى بسلالة الملك سيمان إنما توجد فى لتسوا ، ور القضاء على اكسوم وحاكمها الاخير (من الشوا) كن على يد الرعوا فى لقرن لاسب الميلادى . لذلك فمن المستبعد أن تكون اكسوم ، كما تدعى بعض الرويات الاثيوبية مندادا لانوسا اليوم كما لايوجد دليل قاطع يربط حاكم اكسوم باثيوبيا ودم سليمان

ما وصفت من المعلومات البسيطة عن اكسوم مصدرها الاساطير والرويات امثلة وبعض لقوش ، كانت مملكة اكسوم تبسط سلطانها على دولة اقطاعية يجلس على قمم مجموعة صغبره من النبلاء المتحضرين لذين عاشوا على حسب مجموعة بدائية كبره بر الافء والنجويين لذين امزجت دماؤهم الحامية بالدم السامى . امتهنت هذه المحوى برعى ولفلاحة ، مدارس لاتختلف كثيراً عما هو متبع اليوم . برعت اكسوم فى لتج لى اكسبتها قوة وثروة جعلتا منها قوة تفرض سيطرتها على الرقعة الواسعة بين سر والبحر الاحمر .

أما المسلات الحصرية الصحيحة التي قام بها كسوم و صبيح عصف واستاد
وعمرهم اثناء نحواتهم في المسقة فيها يعتبر من عجائب معاصرة عربهم
لمريد من التنقيب والدراسة ومن لا يستحق ان يحرق هذه المسلات ويصير
ومهارة فنية رفعة المستوى قد يكون سبب نصب هذه المسلات هو
واستر ومديرو محرم و مجموعة الالية التي كان يعتقد فيها لا كسوم
مقدسا لتقديم العرب لم يجدوا بالصسط من لدى سيد هذه المسلات
السكان المحنن او بعض المجموع التي قد في المسقة على محرم
به انها من الدخبة القصة والمعارفة سببه باليونان وهو
لتي كانت تقام في الهند اذ ان بعد مسلات يعتبر اي قدر عام
ساحة التفتيد فهي سنة بالبار المصرية ذلك من سير بعد
و انصرس هي مرتفعات لتقوى وتفاهيم على قصة هذه المسلات
بدانيس عرب ، غير ان كامبرر يعتقد ان هذه المسلات هي
قدن لمسيحية او في تانية عهد يربس ، هذا بالرغم من
اشبة بالذوق العربي تصميماً وتشبيهاً .

عدد ملوك اكسوم المعروفين ليسا فيل ويذكر منهم على سبيل
ويربس . لدى قصي على الكوشير وبهايا ممكة مروي عام ٢٠٦
في وقت لاحق ، كما يمكن ذكر اسبها الذي حكم من ٥١٥
عسكرية ضد اليمن . نصف ذلك ارمها الذي استغفر واعطى حصة
المهاجرين اليه . صبح العرف على كر هؤلاء مسك بقصر النقوش
باللغة السبئية و لأغريقية علاوة على الرموز لانيوية كما
بالعملات الموجودة الآن والتي نقتت عليها اثارهم اصطفه بعض
والنقوش الموجودة الان شحيحة ومقتصة وعمر مكنمة
أمر بكتابتها ولقبه . وتقرأ متلا على النحو التالي ملك كسوم
والحيثية وسبا وسيله وتيبام وكاسوا والحا من الملوك
يغلب . . .

حمالهم منى ، اربط اسم كاسو بمروى ، ومن المحتفل ن هـ اسم سمر بعن نهر ،
الحدوية مثل الحفرا وعبرها من القبايل التى عاشت فى المثلث بصرى نهر عطبرة
وبى حمد ، على بفرع ، لغرى للنبل . فى تلك الاثناء تم القضاء على مرهوى وسانلى بكون
قد فقدت سيطرتها على القبائل الخاضعة لها .

يعتبر أيرناس الذى خلف والده ايلاميدا فى العرش عام ٢٢٠ م . من سهر ملوك
كسوم . كان فارساً مقدماً وحكماً مطبقاً لا يرد له قول و امر لانه فهو يقول كل من
ان لى بالطاعة و لولا . فقد سلم منى وكل من عصى فسيكون مصيره الموت المحيى
وفيم بخص التاريخ لبحاوى فان كتابه بعنر فى غاية الاهمية ، إذ تروى بعصها بورد
لحد ضده مما رعمه فى إرسال بعنه عسكره كعله لتعهر لهم بفوردها بشفه سر
وهديفا البدان خصعا سنة من ملوك ابجا والقبائل الخليفة لهم عن تلك المعزل كان
ملوك كسوم يتحدثون بلغة المنتصر غير أن ملوك البجا الذين بعو ، إحصاعهم قد لا
يكونو غير زعماء عشائر أو قبائل فرعية صغيرة أيضاً لم بعرف اسما ، او بئ الملوك و
نوع لعقوبات التى اوفعت بهم . ويعتقد بان القضاء على ثورة البجا اصطره الى أن يرذل
أكثر من أربعة ، أو خمسة ألف نسمة الى مستعمرات جديدة فى مدينا مجهزة بالعد ،
واكباء والحيوان ليكونوا بالقرب من قبضته المباشرة . لفت هذه لتحرية اسد بدا لى
حكم كسلا عام ١٩١٠م لذى اعتقد بان معالجة مشاكل الهددوة والقضاء على شوكتهم
يمكن أن تتم بترحيلهم الجماعى الى كردفان . وبخصوص ذلك الحل قال الملك بربس
نحن ارعماهم لتغيير مسكنهم وأرسلناهم الى جزء من أرض يسمى مبال وبعد ذلك
احتفل الملك بذلك النصر باقامة تماثيل من الذهب و لفضة والنحاس امدالا و مديت للآلهة
التي شملته بالنصر والتوفيق .

ويظهر أن ملك ايرناس اصيب بجنون العظمة والاعنداء بمقرته بعسكره كإسكس
المقدونى ، واعتد لغرور بان جيوشه التى تم الاعد د لها بصورة ممذرة إجتاحت مساحات
واسعة من المناطق الجنوبية من أرض البجا . لم يتم انصر لاريناس لا بسبب بعرقه
والتجزئة التى كانت تسود ديار البجا والا لشكلو قوة مديعة صد هجمته لم نتوقف
طموحات ايرناس عند ذلك الحد من الإنتصارات لوسعة بل حاول أن يوسع من رقعة

الاصفر لأغراض العملة المعدنية . رغم ذلك فإن ملوك أكسوم كانوا ينحصلون على ما يحتاجون إليه من الذهب عن طريق المقايضة مع قبائل ساسو البدئية التي كنت تعيش على اجنوب فى بلاد اللبان والبخور . ولهذا الغرض فإن مملكة أكسوم كانت ترسل بعته كل سنتين لمقايضة اللحم والحديد والملح بالذهب . ويقول كوسماس : تقع بلاد ساسو بالقرب من المحيط والذي يقع بدوره بالقرب من بلاد اللبان والبخور . تسعرق الرحلة لبلاد ساسو ستة شهور وكانت تتطلب حماية كافية للقوافل لتجارة الداهيه و لعنده من هناك . وجدت العملة النحاسية استعمالاً واسعاً فى مملكه أكسوم ولا زالت تمارح من هذه العملة تكتشف يوماً بعد يوم ، عبر أن ملوك أكسوم اللاحقين كانوا يستعملون الذهب لصنعت عملتهم إضافة لاستعماله لأغراض الرينة والحلى .

أرسل الامبراطور جستين (٥١٨ - ٥٢٨) مبعوثه نونس الى ملك أكسوم صلياً لحربه ضد الفرس ولكن أسبها (٥١٤ - ٥٤٢) ، ملك أكسوم اسدعار منه ٦٠ سفينة بدعوى أنه لا يملك سفناً حربية . وبمرور الزمن بدئت مظاهر التقهقر الثقافى تطرأ على الدولة ، وكان كبر شاهد لذلك هو أن أسبها ، عكس سابقيه ، لم يتقن اللغة لاغريقية ، ومسد ذلك الحبر لم تستعمل هذه اللغة كلفة للكتابة والتدوين . غير ان العملة كانت تحمل بعض النقوش الاغريقية الا أنها كانت بصورة محرفة وخاطئة . رغم كل ذلك أن الانطدع الذى نقه نونس الى الامبراطور جستين هو ان أكسوم تمثل مركزاً تجارياً هاماً لتجارة التوابل والحدود والذهب والعاج ، وان الحملة التى رأسها ساعدت كثيراً فى انجاح غزو أسبها لليمن عام ٥٢٥ .

كان ذو نواس ، آخر ملوك حمير ، يبدى تعاطفاً شديداً مع اليهودية وفى نفس الوقت كان يشن حملات واسعة ضد المسيحيين . وفى الجانب الآخر كان أسبها ، ملك أكسوم مسيحياً متدماً لدرجة أنه أصبح قسيساً . لذلك جهز حملة متكاملة لنصرة المسيحيين فى اليمن للحد من حملات واضطهاد ذى نواس . قتل ذو نوس فى واحدة من هذه الحملات واحتلت أكسوم اليمن وعينت عليها حاكماً مفوضاً من قبل الملك . وفى تلك الفترة كان الفرس يهددون الامبراطورية الرومانية من الشرق وجنوب الجزيرة العربية من اشمال دفع هذا التهديد الرومان ان يطلبوا البجة والمساعدة من أكسوم التى بدأ يلاشى مجده

سبب حرب اليمن اسي استنزفت كل قواها العسكرية و لاقتصادية فضلا على ما تنقر له
من مستعمرات في اليمن وحمير وما شكله هذه المستعمرات من استنزاف ضائم
للموارد .

اسي هذا بحرة الرسه يسمى برهه لذي وصف كثيرا بأنه واحد من ملوث اكسوم
الاسم سكر صميد . شئت عام ٥٢١ حرب أهلية في الجزيرة لعربيه بين ارباب
حاكم حدير الذي سيع بسيد من ملك وبين ابرهة حاكم يمن . إنتهى هذا الصراع الى
مقتل ارباب وبتصيب برهة كحاكم مطلق على حمير لهذا لم يحد اسبها ، حاكم اكسوم
وسيله عن الاعتراف بانبرهة كحاكم على جميع جنوب الجزيرة العربية بل أن برهة
كففى بذلك حيث أعلن نفسه حاكماً لاكسوم نفسها ، مما قد سى الانطباع الخطى
اكسوم كان يحكمها ملكن فى ان واحد . نتصف سيرة أبرهة بأهمية تاريخية خاصة
لارتباطه بحمصه لشهيرة صد الكعبة عام ٥٧٠ واتى ذكرت فى القران بموقعه لفين
كان سقر لاسفقه فى سفار وهجر الكيسة التابعة لها من قبل عرب فريش . انعم
هد الفهد ارسل أبرهة حملة تديبية لمكة ، مقر الحجر المقدس ولذى عرف فيما بعد
بالكعبة . تكونت حملة أبرهة من جيش جرار يدعمه ثلاثة عشر فين ولكن هذه الحملة
مست بالفشل ، غم هذا الاعداد والتحير لها وذلك بسبب انتشار داء الجدري الذى قصى
على معظم حصصه

ارسل الامير طور حستيان عام ٥٧٠ بعثة الى اكسوم بقيادة جوليان يسفسر فيه
عن مأساة تحويل بحارة الحرير الى طريق حدد عبر البحر الأحمر بدلا عن فارس . عبر
ان قدر ماسكال اس أسها . عتذر عن مساعدته بدعوى عدم توفر سفن لديه . ولكن
حوليات اسهر بمظهر ملك اكسوم الذى كان نصف عر ورصع جسمه بكمية كبيرة من
الحلى والذهب وتحمله عربة تجرها أربعة أفيال .

آخر ملوك اكسوم الذين ذكرهم التاريخ هو ارمها الذى أعطى الحماية لاصحاب محمد
الذين هاجروا من مكة والمدينة واحتموا به فى الفترة ما بين ٦١٠ - ٦٢٩ . بعد ذلك ضعف
نفوذ اكسوم ونلاشى مجدها بسبب الهجمات العربية عام ٦٤٠ والتي تسببت فى القضاء
على ممتلكاتها فى أنوليس . وحينها وجد البحا الشماليون بأن الفرصة واثية لهم فى التوغل

في رضى القري و لحماسين وساعد على ذلك ضعف الملكة واستنزاف قواها ، صف
ذلك العرو الإسلامى لمصر عام ٦٤١ واذى قضى على اخر منفذ لها للاتصال بالعالم
الخارجى وفى بفر اساسه ، سنبدل آخر امراءها بزعيم من تنو ومنذ ذلك التاريخ لم
سمع العالم شيئاً عن أكسوم .

حلفت أكسوم ورعها انار وبصمت تدن على قوتها وعظمتها . شمر ذلك البديل
الحملة واللغة لتي بنحت بها ثلاثة مجموعات هى لامهرا ، وقنائل لهصنة لارسره
ولقبائل ابجاوية اجنوبية المسلمة ، ضافة لرمور التي تسعمل لكانه لغة الانبويه فى
بوقت الحاصر . وكثر من ذلك جميعه ما تنفى من عذاب وتقلايد وحضوح لسطه بمبر
به القبائل البجاوية الجنوبيه حيث أصبح ذلك مطا حبيباً مميزاً لهم مما سهل من يمكن
لاقط ع بيهم و ستعبادهم من قبل طبقة صغير مرفعة من غير البجا

ملوك اكسوم الذين تميزو بأهمية تاريخية .

ملوك اكسوم المعروفين لدينا . ما عن صريو لتدوين أو لعملة أو عن طريق مصادر
أخرى هم مجموعة بسيطة يذكر منها :

- ١ - نوكالييس ، ٧٦ - ٩٩ م ، ذكره بعض لكتاب بان سمه د ، هكل وورد ضمن قديمه من
الملوك لآخريين . قد يكون ترتيب هـ الملوك هو الثانى فى الاسرة لذلك .
- ٢ - فيلاس الديرىلى - التاريخ غير معروف . ولكنه قد يكون لمب السى وجد سمه
منقوشاً على بعض التماثيل .

- ٣ - اوسناس لقويسى لوتنى الذى عرف عن طريق عملته .

- ٤ - سمبروتس عرف من خلال بعض النقوش البسيطة .

- ٥ - انديبيس . كن وثنياً أيضاً وتم التعرف عليه من خلال عملته .

- ٦ - ايلاميدا الهالينى ، ٢١٤ - ٢٢٥ ، والد ايرباس ، عرف من خلال نقوشه ونقوش
ابنه .

- ٧ - ايرناس الهالينى ، ٢٢٥ - ٢٧٠ ، من أشهر ملوك اكسوم . كان مسيحياً ومن أشهر

بصدراته هو قضاؤه على مملكة مروى عام ٢٥٦ .

٨ أسبها ٥١٤ - ٥٤٢ ، يعرف أيضاً ككالب انتصر على دى وس ملك اليمن . يقال انه قضى بقية حياته راهباً .

٩ بنا اسرانش ، ٥٤٢ - ٥٥٠ ابن اسبها عرف من خلال عملته .

١٠ قبرا ما سكال . الابن التالى لأسبها ٥٥٠ ٥٦٤ و ٥٧٠

١١ أرمها ٦١٠ ٦٣٥ أعطى الامن و لحماية لأصحاب محمد وفى وقت لاحق تبادل معه بعض الرسائل .

الفصل السادس

أعداء روما

(٥٠ قبل الميلاد - ٦٤٠ بعد الميلاد)

تسبب روم بسحقون بلايين و سبعم المصنوعة من عظم عيسى

من الترجمة الاليزبثية لهيليودورس

صم أغسطس مصر التي لامبراطورية الرومانية بعد انتصاره على بطونيو وكليونز في كيبم عام ٣٠ قبل الميلاد واوكل لخدمتها ثلاثة فيالق انحفصت فيها بعد الى فيلق واحد كلف بالمرافقة حول مدنه فاسكدرية لقمع السبع متكرر بها تركت الامصار المحيطة بها بعدة محبة صغيره تدعمها فوق ب صدمه منى ما ساعدت ظروف لانت تركت في سدين (اسوان) بحامية التي أوكلت لها حمايه جنود مصر من هجرات اسوة والنج وعزب هذه احمية بقاط اصنافية في دلس (كلايسا) وبنائه مدن حري كرها جنوب كات هيروسيكميوس محاراك) . علاوة ذلك سب الرومان عرقه من سجنه لتجوب الصحراء لوقف هجمات البجا .

سبب في عام ٢٢ قبل الميلاد اضطرت على الحبهة الحوية مما اسدعى ارسار بوه يفوده فييوس برونوس الذي نصي على نبيه انتقام بهجما الثورة على سوان لم يعرف عن النج في سب الانب الا لفيل ولم يتشكها برومان في خطر سكر حتى مصله لقرن الثالث عندما بدأ بتشكون نهديا حفيف للمواقع الرومانية وكان مصدر ذلك لتهيد هو حلالهم لبعض المدن على ودي اسير ومن تم تهدد السبب لرومانه في بيد ولبج كما هو حدهم الان ، كانوا بتشكون قدس متفرقة لا جمعهم قيده وحدة ، غير أن لمجموعة التي أطلق عليها الكتاب كلاسيكيين اسم البليميين هي مجموعة نصرة سنقرت على مشارف النيل وحلف حذريا عن سب المجموعات البدوية التي سكن لصحراء وساحل البحر الاحمر . تحدث استرابو عن مجموعات مختلفة سكن تلك المناطق سمل ذلك البليميين والمقباريين الذين استوطنوا وادي النيل وحول بريس لم عرف بالسيد من هم مقباريين . لانه من الارجح انهم يمثلون ، كالبليميين فرع من



وادي النيل والبحر الأحمر في العهود الكلاسيكية

مروع القبائل البجاوية ، ولا سيما من ناحية السلوك والعادات . لدى بعض المصادر تحفظاً في ربط لبليميين باسجا لما تميزت به المجموعة الاولى من ثقافة منطوره وحياة استقرار لم يتوفر . لقبيل النحا الرعوية في الصحراء الشرقية ويقول كرافوت في مؤلفه خزيرة مروي أن ربط لبليميين بالبجا ، سلاية نكر عداءاً بتسديداً لحصاره ، لأمر يفقد الموضوعية .

وهي عتقادي أن هذا الرأي خاطي والسبب في ذلك هو عدم توفر مصادر كافية بوصح أن لبليميين تمتعوا بحضارة رفيعة نابغة عن دابليهم ، بل معروف عنهم أنهم استقروا في مناطق حول وادي النيل قبل أو في عام ٢٠٠ قبل الميلاد ولكنهم (ومن خلال معرفتي باسجا لحايين) لم يعرفوا كسكن مدن ولم يكتب لهم الاستقرار إلا بعد الإستيلاء الجري على الكلي لأراضي الغير .

من الصحيح أن حفريات كرانوق (ووالى وماكنفر) تتحدث عن فترة البليميين وعلاقتهم بسن الاحتلال الذي دام أكثر من أربع مئة أو خمس مئة عام . كما تتحدث أيضاً عن حضارة البليميين ومعمارهم ، وإنتاجهم الفني في الأثاث المنزلي والفخاري . هذا وصف غير دقيق لأن حفريات كرانوق أو صحت أيضاً آثاراً لأقوام غير رعويين يشكلون حسط من الناس ترأسهم طبقة أرستقراطية غير زحمة وشاركوا إمبراطورية مروي في ثقافتها ، وإلى حد كبير ، في معتقداتها الدينية . المبرر الوحيد لإرجاع هذه الثقافة إلى مروي هو أن لبليميين لذين عاليتهم من الرجع اسطعوا أن يحتلوا ذلك الجزء من وادي النيل لمنات السنين وفرضوا سيطرتهم عليه كطبقة رستقراطية ، ولكن أنفسهم لم يضيفوا شيئاً إلى لتقافة ولحضارة التي وحدوها . وعلى العكس تماماً ، هناك شواهد تتحدث عن تأثيرهم السلبي بسبب هيمنة سلاله رعوية بدائية على طبقة أخرى أكثر تحضراً وثقافة . هذا ، لوضع لغريب هو الذي قد إلى تدهور الأوضاع ثم إلى هزيمة البليميين وطردهم عام ٥٤٠ م . ونجد أن الرموز المروية استعملت بصورة عاديه وأن ثقافتهم ، إلى حد كبير

متشابهة لحضارة مروي إلا أنها كانت أدنى مستوى من تلك السائدة هناك مما يدل على محليتها وانعزاليتها علاوة لذلك نجد أن البليميين ، كما وصفهم ديوكاسيوس ، كانوا محاربين وكانوا يحترفون رعي الماشية والصيد ويتسلحون بالأسلحة الخفيفة والدروع

المصنوعة من جلد العجول .

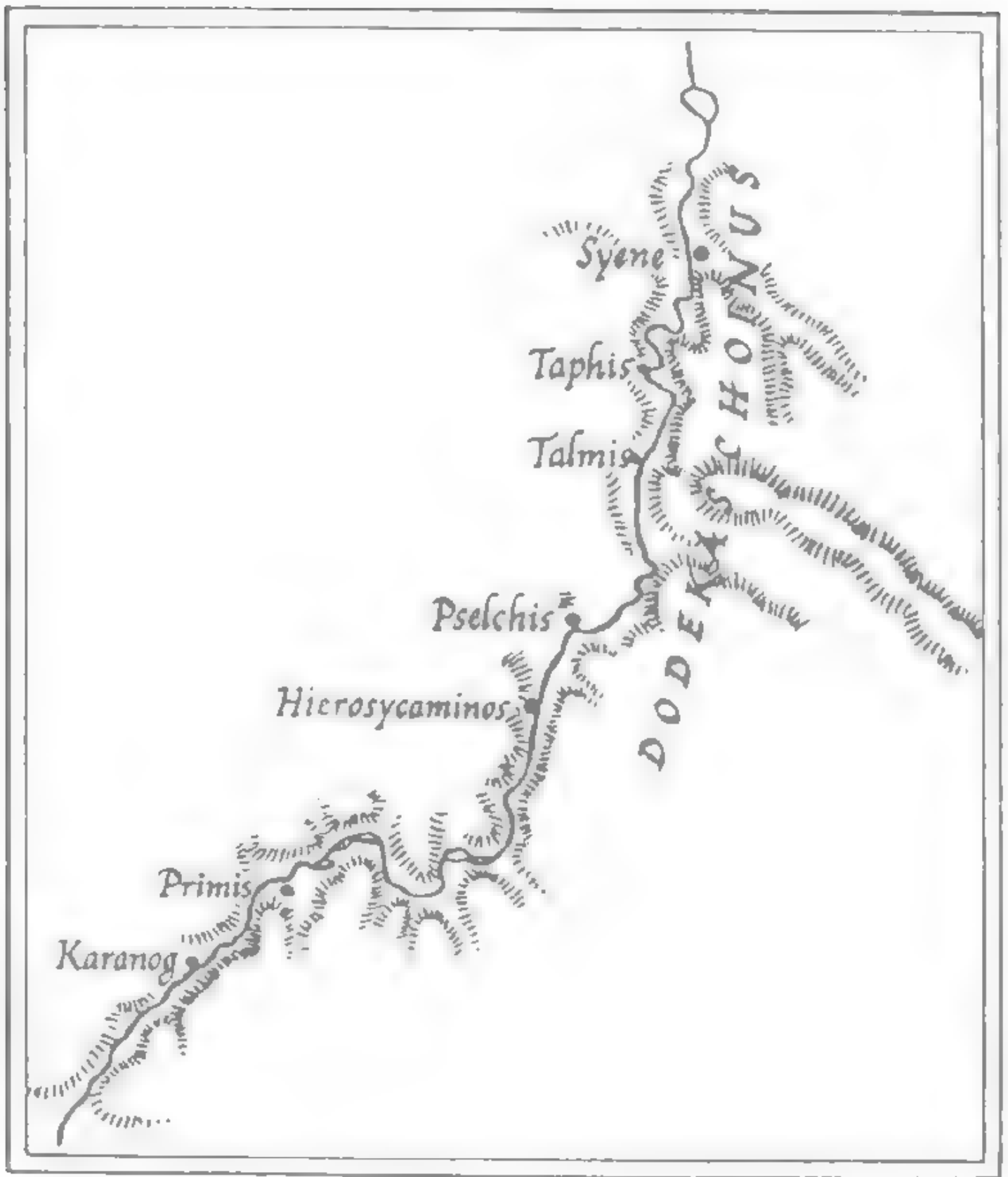
يعتقد بن ايليمير بقوا . الى اخر حصة على هيبهم لصحراوة ومصنعهم برعوبة
وان اوافق كيرون رايه بان سمية لبليمير اسجديها ابروما . لأول مرة لتلج على
مجموعة القبائل لرعوبة لتشرة بين احشيه ومصر والبحر لاد . ومؤلا القوم كانوا
في ترحال مستمر حال القائل الحوية في وقتنا لاصر . الى بقصر نفس
الرقعه الجغرافيه . ونوه كيرون . في موضع اخر على دست لبليمير على مسدحه
جغرافية واسعة وعلى سجن قبائلهم وعشارهم . اضافة لسوكلهم الرعوى . ويوضح كـ
ذلك تصارب الآراء حولهم كما وردت في روايات المؤرخين و لكتاب الكلاسيكس

هناك راي اخر يرى بن ايليمير بم يكونوا من البد ولب لرعوبهم للجمال عكس
ابجا لذين كانوا برعور الانقر بصفة رئيسية . غير أن الواقع يقول بن البج اهتموا
برعاية الحيوان في ان واحد ومن ناحية أخرى تتحدث الشواهد المدخية بان لايفر
باعداد كبره لم تستطع التقلع لضروف المنطقة الواقعة الآن شمال الخط الحديدي لدى
يربط بين عطيورة وبورتسودان . لذلك ليس عربياً أن يفرض بان لبليمير قد يكون حـ
من القبائل لبجاوية الشمالية وكانوا يحتفظون باعداد قلسة من الانفار علاوة لرعايتهم
للحمل . اسوه بسارسي لبوم الذين برعوا في رعيه لحمار وبغسور في نفس المنطقة
واب شخصياً كتر ميلا للري القائل بن جميع سكان الصحراء لترقه كانوا ولاالو
يشكلون مجموعة عرقية واحدة الا انهم بفرعور . كما هو حالهم اليوم . الى فروع هلبة
كثيرة كالهندوة والبنى عامر وغيره ضمن هذه الفروع مجموعات تدبب في مستوف
الحضاري والثقافي كمجموعة أكلى السميت البدنه في ادنى درجات سسم الحضاري
واللبميمين الذين اشتهروا بمستوى رفيع لحضارة متطورة في احاد لآخر من لسم

لا تكسف لب الصور التي وجدت على صخور الصحر . السرققة لكبير عن لبليمير
غير أنها تركز على أنهم كانوا من رعاة الابل ويتسلحون بالفوس و لرمح ويدينون بالوثنية
والمسحبة في أن وحد وارتبطت بماط حيتهم بالاسلوب الصحرواي ويوضح بجربي
الشخصية بان مجموعات بدائية في وقتنا الحاضر كالثلك والنوبة مثلا يظهرن ملكات
فنية مماثلة . الا أن رسومهم تحتوي . اضافة لحيوانات . كل الاشياء التي رتبطت

بحياتهم مثل السيرات وانطانات ولبو خر النيلية وصور بعض لشخصيات العربية لى
تلس الحوذت وتجلس على الكراسى وتعمل الاسحة البارية . لذلك أرى أن البحا فى
عهد البليمين لم يشنوا عن مثل هذا السلوك ، إذا أن رسومهم احتوت على أساس يسسور
لباساً أشبه بالعميص ويضعون القبعت على رؤوسهم ويتسلحون بالسيف والدروع
المستطيلة . ومهما كنت دلالة ذلك فهم لسوا من لبج وأدليل على ذلك السيوف وشكل
الدروع ، إضافة مظهرهم العام الذى يوصح بأنهم رجال خير . وأنا اعتقد بأن المعنى بهذه
الصور هم الجنود الرومان أو المرتقة الاغريق الذين استعملهم البطالسة لحراسة طرق
لتجارة ومنجم الذهب بالبحر الاحمر . ويجدر بالذكر بأن هذه الفترة تزامنت مع غزو دى
المالك بن شامنار بيراش ، ملك اليمن ، لمنطقة عيتباى والذى لفى حنقه وجميع جيشه فى
محاولة لفاشله للاستيلاء على مناجم الزمرد فى الصحراء الشرقية . لايتطرق التاريخ
لحديث لهذه الواقعة لكنها ذكرت على لسان بعض المؤرخين لعرب .

لم تبد روما إهتماماً خاصاً بمناجم الذهب فى لصحراء استرقية مما يسج عنه همل
تلك المناجم . اما فى مجال التجارة فكان اهتمامها ينصب على لتجارة الوافدة من لسرو
لاقصى وبالذات عن هريق عدن وعرب نقيه موسى لحر لاحمر . لذلك لم نعر روما
اهتماماً يذكر بالبجا الا فى حالات متقطعة كتلك الحادثة لى وقعت عام ١٢٦ عندما حاول
بعض قود لحصريان فتح طريق تجارى بين بريس والمياء لجديد فى نيبوبولس
ابدى البجا اعتراضاً لذلك المشروع مما استدعى مطاردهم وملاحقتهم . لم يسفر لاحوال
لفترة طويلة إذ أن القبائ البجاوية بدأت عام ٢٤٩ بمهاجمة مصر العرب فى عهد
الامبراطور دسسيوس وتتطلب صدهم جهداً كبيراً . وتولت هجماتهم عام ٢٦٨ مرة حرى
ضد الوجود الرومانى فى مصر حيث تحالفوا هذه المرة مع لبلمريين وشكلوا معهم جيش
كبيراً قوامه ٧٠.٠٠٠ شخص مستعنين فى ذلك أيضاً ببعض الوطنيين والبليمين . شهدت
مصر اضطرابات متواصلة صيلة عهد أورليان (٢٧٠ - ٢٧٥) حيث اكتسح لبجا مدن
كثيرة فى تبيد وبقيت هذه المدن تحت سيطرتهم الا أن بعدهم عنها برويس عام ٢٧٦ . لم
يشن ذلك عزمهم ولم يوقف هجماتهم التى تتبعت جنوباً حتى وصلت بطليماس . وفى عام
٢٨٠ تطلب هذا الوضع تدخلاً شخصياً من برويس نفسه ، الذى أصبح امبراطوراً فى ذلك



جنوب تبید

احين ، وقاد بنفسه جيشاً كبيراً لطرد البجا مرة أخرى الى الصحراء وإستاء نطقه للمراقبة فى هيروسيكامينوس .

وفى عام ٢٨٤ تخلى الامبراطور ديوكليتيان عن حامية بوديكاشينوس وفضل أن ينشأ بدلاً عنها دولة النوبة لتكون منطقة عازلة تحول بون هجمات البجا لجنوب مصر . ولكى لا تقع هذه الدولة فى أيدى البجا رأى من الضرورة بمكان مدها بالعون المادى ، وهى نفس الوقت قدم للبجا بعض المساعدات لصرفهم عن هجماتهم لمصر . لم يستمر ذلك الوضع طويلاً اذ أن البجا استطاعوا الاستيلاء على أسوان وبقية مناطق تبيد . بسبب ذلك فى ضعف روما وفشلها فى صد الهجمات لبجاوية لمصر . ولفترة القرنين التالين أصبح البجا القوة الغالبة فى جنوب مصر وأصبحت كلمة البجا تثير الرعب والفرع فى نفوس مواطنى وادى النيل وماحولها . إضافة لذلك هناك بعض المصادر التى تقول بأن هجمات البجا لم تقف عند جنوب مصر بل امتدت فى القرن الرابع الى منطقة الطور ، فى الطرف الآخر من البحر الأحمر . ويقال انهم استولوا على سفينة فى البحر الأحمر وأرغموا طاقمها بالابحار نحو الطور الذى استولوا عليه ومارسوا فيه قتلاً وسلباً الا أن تمت أبادتهم فى وقت لاحق على ايدى القبائل المحلية .

وعلق قيسون بالكلمات التالية على تهور البجا وجرأتهم فى جعل أنفسهم ائداداً لامبراطورية روما هؤلاء البرابرة المتوحشون والضاربون فى القدم نصبوا من أنفسهم اعداءاً لروما . وأقل ما يقال عن محاربى تلك الصحراء بأنهم لم يقبوا قط المذلة ولهوان وأن شجاعتهم وبسالتهم اكسبتهم التقدير والاحترام حتى من عدائهم . لقد وصفهم الكثيرون بأنهم محاربون شداء غير قابلين للترويض وأنهم كانوا مهرة فى رمى الرماح والسهام . لقد وصفت شجاعتهم وبسالتهم حداً بأنهم كانوا يقدفون بأنفسهم بين رجل الخيل المسرعة ثم يتزعون أحشاعها وبذلك كانوا يضربون اصدق المثل لبسالة المحارب الحامى . ضافة لذلك فهم قساة عند النصر ولايصمد احد أمام رماحهم علاوة لفردهم ساء ، شديد يصعب نرويضه . ويقال بأنهم يشربون دم أعدائهم ، بالذات أولئك الذين قتلوا بسبب خلافات دموية . ذكر بيركارت بأن هذه العادة لازالت سائدة بين الحليفه فى كسلا .

كانوا يعنفون فى مجموعة غربية من الكواكب ، وفى بعض المصريين والسبثيين وفى

بعض الآلهة الخاصة بهم . كما يقال بأنهم كانوا يقدمون القرابين الى الشمس . وقال عنهم مومسن " بأنهم قوم بربريون ، وعندما يثورون فهم يتصرفون كالوحوش ولم يتخلوا عن التصحيات الانسانية . لم يخضعوا في حياتهم لحكومة منظمة ، بل أن كل مجموعة منهم كانت تخضع لرعيم خاص بها ، وكانوا في حرب صروس مع بعضهم لبعض ، ولكنهم لا يماسون في التوحد تحت قيادة واحدة اذا كان ذلك لغرض غزو جيرانهم . لقد نه احتلالهم لودى النيل ولكنهم صربوا منه في وقت لاحق . كما تم لهم الاتحاد لتكوين مملكة صغيرة وممارسة نوع من أنواع السلطة المنظمة . ويرى أوليمبيودورس بأنه رار اسوار عام ٤٢٣ وقابل هناك بعض عشائر الليمين الذين اصطحبوه لزيارة بعض مدنها الحصوية مثل قوبيكون وسيريس وتافس وتالمس وبرميس . كما سمح له ملكهم زيارة مناجم الزمرد في الصحراء . لم يهتم الرومان بالذهب ولكن كانت لهم السيطرة الكاملة على الزمرد الذي كانوا يصدرونه الى اثيوبيا مفايسة لجاريهم مع الهدد .

اتحدت قبائل النجا عام ٤٢٩ بصورة لم يسبق لها مثيل في هجوم كاسح على الواحة الكبرى واسروا مجموعة كبيرة من سكانها . غير أن عام ٥٤٠ شهد نتعاشاً جديداً للحكم الروماني في مصر العليا حيث استطاع ماكسيمينوس احد قواد الامبراطور مارسيان (٤٥٠ - ٤٥٧) . من هزيمتهم ثم طردهم وتوقيع معاهدة معهم تم بموجبها استرجاع جميع الاسرى والرهائن ، اضافة لدفع الجزية . كما سمح لهم بترحيل صورة الآلهة ايزيس من مقرها بفلى الى الصحراء لعبادتها هناك . لم يتغلب ماكسيمينوس على النجا فقط بل استطاع ان يكسب ودهم وثقتهم . فمثلاً عند مناقشة بنود المعاهدة معه اقترح النجا عليه هدية لا يتعرضون فيها لمصر طالما هو في السلطة هناك أو طالما هو على قيد الحياة وأخيراً وقعوا معه هدنة لمدة مائة عام . لكن ما أن سمعوا بوفاة حتى قاموا بالهجوم على نبيد مرة أخرى وأفرجوا عن رهائنهم المعتقلين . بذلك تمت لهم لسيطرة الكاملة في القرن الخامس وجرء من القرن السادس على جنوب نبيد بين اسوان وبريميس ، وخضع لهد سكان وادي النيل كما كانوا يقومون بهجوم منقطع لمملكة النوبة التي تقع على الجنوب .

شهد منتصف القرن السادس حدثين هامين ، الاول هو سحقهم وطردهم من وادي النيل بواسطة النوبة . والثاني اعتناق جزء منهم المسيحية . أما حربهم مع اسوبة فلم يذكر

عنها الكثير ولكن من المؤكد ان العهد ساد أو برسم على يد سيد من سيد
على يد سليلكو هذا لواء في تلك الايام وكان يدور في تلك الايام في
على عهد مائيس بن مائيس و صاحب كف في تلك الايام في عهد مائيس بن مائيس
بعضاً من ألفتهم في ذلك السياق :

لقد حبس في دالمس ، مائيس ، سليلكو في عهد مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
مرة وثلاثة لقد حبسهم مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
معههم سلات حبس مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
رجعت لبلاد

وعندما أصبح سليلكو في حربه مع مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
أولئك الذين لم يصنعوا أو سرى حتى يعقدوا في عهد مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
أو أمراء القبائل التي حاربوا في عهد مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
اشتمس الحارثه ، كما لم أسمع بهم منذ ان كان في عهد مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
وأطفال كل من حاول مقاومتى .

يعتقد ووللى بن سليلكو حاصر في عهد مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
مباشرة بعد اعطاه للمسيحية (٢٠) في عهد مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
على ثورتهم ضد جستنجان الذي حصد لهم في عهد مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
في مائيس بن مائيس هاهو بهجات مكررة ضد مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
سبب ذلك ان جستنجان قهر معبدهم في عهد مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس

ومهما كانت الملائمات والظروف الا ان إصطلاح مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
وأدى الى ضعف مواصل لموقف صحارى ووللى بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
في وادى النيل الى صحاريهم الشرقية . وبعد ذلك في عهد مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
لم ينطرق بروكوبيوس في كتابه عام ٥٤٢ م في عهد مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
اسوان أو في نوديكاشيبوس هذا رغم هجمات مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
النوبة و لتي استمرت حتى عام ٥٧٧ وهي وقت لاحق تم حصار مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس
يد اريستوماشوس ، حاكم مصر في عهد مائيس بن مائيس في عهد مائيس بن مائيس

لا يعرف الكثير عن عتدق البجا للمسيحية ، ولكن في حوالي ٥٢٦ قدم الامبراطور جستنيان بقفل معبد يريس في فيللى وأمر بيزالة جميع الآلهة هناك واعتقال الكهنة المشرفين عليه ثم امر بتخصيص الموقع لعبادة المسيحية . لم يكتب النجاح لهذه السياسة لأنها ارالت لشئ الوحيد ، فى المناطق الرومانية ، الذى يكر له البجا نوعاً من التقدير والاحلال . لذلك توالى الهجمات مرة أخرى . وفى تلك الاثناء وصلت المسيحية الى النوبة على يد جوليس ، مبعوث لامبراطورة ثيودورا التى بعثت بتلك لحمية رغم المعارضة الشديدة لى ابدائها زوجها حيال ذلك الامر . وفى عام ٥٧٠ عززت تلك الحمية ببعثة أخرى يقودها لوبغينوس . حققت تلك الحملات قدراً كبيراً من النجاح فى ديار النوبة ، ولكنها لم تحقق نجاحاً مماثلاً وسط البجا . والبجا ، والى لحظة تحولهم الى الاسلام ، اصبحت ديانتهم مريجاً من الوثنية وعبادة الشمس والحجارة ، فضلاً لاعتقادهم فى ايزيس واسكر بيس ومندوليس ، كل ذلك كان ممزوجاً بإعتقاد سطحى فى المسيحية اليعقوبية ومع تقلص النفوذ الروماني رجع البجا لى وثنيهم التى لم ينخلوها عنها مطلقاً .

ولم يسجل التاريخ سبباً يذكر عن البجا منذ ذلك الحين والى ظهور العرب فى المسرح السياسى فى القرن السابع الميلادى . لذلك فإن منطقة جنوب مصر ، التى كانت عرضة مستمرة للهجمات البجاوية ، اصبحت تتمتع بنوع من الاستقرار . قد يكون السبب المباشر فى ذلك هو هزيمتهم الساحقة على يد النوبة مما دفع منطقتهم الى فوضى وحروب أهلية حتى مرحلة احتلال العرب لمصر ولإعادة اكتشاف الذهب فى ديارهم .

الفصل السابع

الغزو العربى

(٦٤٠ - ١٥٢٠)

جزء من الارض العربية تعمق برائحته السمن والجمال

داوتى

بدأت فى القرن السابع الميلادى موجة منقطعة من الغزو العربى لمنطقة البجا . ولكن هذا الغزو لم يكن بالكثافة الشديدة ، غير أنه كان كافياً ومؤثراً لتحول جميع البجا الى الاسلام . يجدر بالذكر أن أوائل المهاجرين لعرب لم يكونوا مسلمين وكانوا ينتمون الى إحدى بطون قبيلة حمير . هاجر بعض أفراد هذه القبيلة من منطقة شُهر فى جنوب الجزيرة لعربية وعبروا البحر الاحمر ليستقروا بين قبائل البجا فى عيتناى وتلال سبكات تمنعت هذه المجموعة بالسيادة على قبائل البجا الذين تراوجوا معهم . وسبب هذه السيادة هو التفوق الحضارى والثقافى من ناحية والنظام الاجتماعى السائد بينهم والمتمثل فى توريث الام من ناحية أخرى .

ويقول بيركارت نقلا عن ابن سليم الاسوانى الذى رار منطقة البوبة عام ٩٧٠ هـ عهده الخليفة المعتز :

نجد بينهم ن ابن البنت أو الاخت يورث بدلا عن ابن الصلب . ويصيف بانهم يولون أهمية كبرى لولادة ابن البنت أو الاخت لانه هو الابن الحقيقى بصرف النظر عن والده . من الثوابت التاريخية ان العرب وفدوا الى ديار البجا قبل الهجرة . ويقال انه كانت هناك بعض اعتقادات المسيحية اليعقوبية وسط البجا ولم ينخلوا عنها الى الاسلام الا فى القرن التاسع بعد الغزو العربى لمصر . وعرف العرب لمهجرين بالحدارب ، وهى تحريف بجارى لكلمة الحضارمة التى يستشف منها بأن غالبية هؤلاء المهاجرين كانوا من حضرموت . غير أنهم كانوا يعرفون بين البجا بالبلو وذلك بسبب تلك اللغة العربية التى كانوا يتحدثون بها ، أى البوييت ، التسمية السائدة بينهم لى يوما هذا لم يستعمل تسميه بلوييت الا بعد طردهم من عيتناى فى القرن الخامس عشر . ادى

لجويية قد يكون كرومور مصف في رداء يسبهم الى عدم تعرضي عن ١٠ ميل في
ايجاد علاقة بينهم وبين المصادر . صافاة ال القرن لثامن بريح قدومهم لمسطفه كم
بقتوح هو ، يعتبر وقتاً متأخراً هذا لحط ولبس كما بسبب التسميت المختلفه التي
اطلقت عليهم ، فمثلا حد ن الاح ش بهوى بعد من ذلك فيطلقون كلمة الحدارب على
مجموعة كبيرة شتلا فيما تنمى لسباب ولشكرية عمار لا علاقة لهم بالبو .

يجر بالاشارة هـ ال سير بين حدارب (بو) القرون الوسطى وبين من يمثلهم في
الوقت لحالي من لارتيقه والاسراف وغيرهم من الذين وردت اسموهم على لسر الكتاب
والرحالة الذين زارو السودان فى القرن التاسع عشر . صبحت هذه القبائل بجاوية مثل
الأتراك والمصريين وشتراكسة ولبهسيين الذين وفدوا الى لمسطفه طبياً للريح والكسب من
تحارة الرقيق وضروب التحارة الاخرى لتي اشتهرو بها سوكن ثناء فرة الحكم
التركي . كما تروح لكثر منهم مع القبائل لبحاويه الارنقه ، بصفه عمه و سرهم الذى
كان يلقب بأمر الحدارب بصفة حاصة هو لى كان بفسم الارباح بحصه عن مباد
سواكن مع الحكم لترك على لالة الامر ثم مع المصريين فى وقت لاحق لى لم يكن
عثمان دقه الا لى صيغ لمجتمع الحدارب هـ د كن احداه من لكراد الذين
استقرو بسواكن فى القرن لستس عشر ثم صدهروا لى لثلاثة قرون الدله و
والدة عثمان دقه نفسها كانت من قبيلة لى رايار (فرع من هروع لهسدوة)

قد يسبعد مما هو ماح لار من المعلومات لقول بال حدارب وهى الى سرو
السودان باعداد كبيرة رعم ما تميره به من جاد وسلطان لانهم فشلوا فى لاحتفاظ
بعتهم كم فشلوا فى فرضها على القبائل المحية فضلا بهم تخلوا عن وبتنتهم وشارو
ابجاويين فى اعسافهم لبعض سكال المسيحية . ومن ناحية اخرى بطل على اسمهم
العربى فى اقتناهم للخيول لك الحيوان الذى ينظر اليه السجوى لكثير من سندر
ولرهبه . والادريسى هو الكاتب العربى . لوحد على تلك الحقه التاريخية لذى ذكر بنهم
بلو وليسوا حدارب . وفى ذلك يقول كى متعارف اسوان تهجم من قبر مجموعه من
فرسان الخيل السود لى بسمو بالبويين ، وبعقد بأنهم كان يعنقون المسيحية منذ
العهد المصرى وكانو يحبون لى بين البجا والاحباش وتصل سطوتهم حى الى

النوبة .

احتل جيش عمرو بن العاص عام ٦٤١ مصر وزحف جنوب حتى دنقلا . وهنا ورد ذكر بعض ممالك النجا مثل شيه أو سوه والتي كانت عاصمتها على نهر عطبرة ، وتحالفوا مع لنوبة لنجدة احمامية الرومانية من بهناسا ، ولكنهم هزموا . رغم جيشهم الكبير الذى تألف من اكثر من ٥٠.٠٠٠ مقاتل ومجموعة كبيرة من الافيال . قد لا تكون هذه الواقعة صحيحة لان بهناسا تقع على مسافة بعيدة وليس بمقدور الجيش الجاوى ان يصل اليها . اما الرواية الاكثر احتمالاً هي التى تحكى عن موقعه الدبة بالقرب من دنقلا ولنى انصر فيها خالد بن الوليد (سيف الله) فى عام ٦٥١ على جيش النوبة وحلفائهم النحويين .

لم يكر للنج اتصال مباشر بالعرب حتى مجئ عبيد الله بن هذيل ، حاكم مصر لعلبا ، لدى إبرم معهم اتفاقية (هذا دلالة على أن النجا كانوا وكعادتهم يهاجمون جنوب مصر وأن هجومهم فى هذه المرة قد تم صدّه) يدفعون بموجبها ٣٠٠ حمل صغير وان لا يعطوا الامان و حماية لعبيد الفارين وان لا يعترضوا جميع المسلمين المتواجدين بينهم بخلص من تلك الاتفاقية بأن النجا لم يستسلموا بسهولة لذلك ، لغزو ، كم يستنتج أيضاً بأن العرب كانوا يستغلون متحجماً الذهب والزمرد الموحدين فى الصحراء الشرقية . لم تنقطع هجمات النجا لواءى النيل مما حدى فى عام ٨٣١ بالخليفة ، المأمون بن هارون لرشيد بن برسل جيشاً كبيراً يقوده عبدالله بن جهم الذى استطاع ان يبرم اتفاقية مع زعيم النجا ، لدى عرب اسمه لى كانون عبدالعزيز . من نتائج هذه الاتفاقية أنها دعمت لاتفاقية السابقة ووسعت من بنودها . بموجب هذه الاتفاقية كان على النجا أن يدفعوا ١٠٠ جمل أو ٣٠٠ دينار ، اضافة ل التزامهم بحماية ممتلكات لمسلمين ودور عبادتهم وان يمنعوا ادعم لاعدائهم ويسلموا الرهائن وان يقرروا بسلطة الخليفة على الارض الممتدة من سوان شمالاً الى دهك جنوباً . يجدر بالذكر أن الوجود الاسلامى فى منطقة ليجا امتد الى قرابة السبعين عاماً قبل حملة عبدالله بن جهم . كشف عن هذا الوجود بالوحة التى تم التعرف عليها على احدى قبور المسلمين فى منطقة تقع ثمانين ميلاً من الشمال اشرقى من مسمار الحالية .

بعد عشرين عاماً من توقيع هذه الاتفاقية قامت انتفاضة بحوية جديدة ضد مصر . فى

عام ٨٥٤ اوقع النجاشي ، تحت قدار ، سبهم ولباب (على بابا) محررة شملت جميع العرب القاطنين حول المناجم واطبقوا سراح جميع العبيد ورفضوا دفع الحربة . اكتسح هجومهم هذا جميع المدن و لقرى ووصر حتى اسبا ووقعوا بها دماراً شديداً . ارى ذلك اسبابا من سحق ، خر حاكم عربي على مصر . اعداد حملة كاميه شهر بعبارة محمد عبدالله بن جامع . زودت هذه الحملة سنة سبعين ارسلت عن طريق البحر الى سابقا بالقرب من عيذاب . تحرك من هناك بن جامع على رأس ٧٠٠٠ مدارب (قادر من خلدون جيش من جامع بحوالي ٢٠٠٠٠ مقبل) ابته بهم نحو كوس . تبع اليك ضد هذه الحملة تكتيكاً حذراً ابتعدوا فيه عن الاشتباك المباشر ولكنهم فصعوا فيه طرق الامداد معرضين بذلك جيش العدو للجوع والعطش . عندما حور اس جامع الوصول لعيذاب على لساحل ، حيث سفن الامداد ، كان لابد من التحام بحسب في مكان بالقرب من جبل ربارة . يتكون الجيش البجاوي من رجال يحملون رماح ويمتطون الحمال . ولكن ابن جامع بتدع خدعة استعمل فيها اجراساً تعلق على اعدق خيولهم . تسببت هذه الخدعة في نارة جمال البجا مما افقدهم نوارهم وادى في نهاية الامر الى هزيمتهم . بذلك كتب للعرب النصر مره أخرى والافراح عن رهائنهم وتجديد تعاقيته بن حهم . ارسل ابن 'خ اولباب ، الذي خلفه في الزعامة ، ابن بغداد لمقاتله لحليفه جعفر المتوكل

ذكر المؤرخ اليعقوبي في كنده كتاب الساساني الذي كتبه في القرن التاسع لميلادي وجود تسع ممالك بجاويه في منطقته لمعده من اسور الى مصوع وهي كالآتي

١ - تيكش - امتد نفوذها من سوس الى حير بركة . سكان هذه المملكة كانوا من قبائل شتى مثل الحدارب والربافيق ودرجدا وغيرهم . عرفت هذه المملكة بمناجم الذهب والزمرد والرخام .

٢ - بلجين - أرض المدن الكبيره . سكان هذه مملكة كيو من الوثنيين والسحرة لذين كانوا يزيلون أهذاب عيونهم وأسنانهم الامامية .

٣ - باريين - كانت بجوز بلجين من جهة زممكة علود لنوبيه من جهة أخرى

٤ - جارس - منبت من بدي على البحر الأحمر الى خور بركة . وكان يحكمها ملك ذو

نفوذ كبير .

٥ كنتعا تقع بين بادىء وفيكون . لايعرف عنها الكثير .

٦ نحاش - كانت عصمتها كعير على الساحل بالقرب من دهلك . سكانها كانوا من التجار المسيحيين .

تأنكش كنت أكثر هذه الممالك شهرة وكان يقطنها الحدارب وتوابعهم والزنافيق الذين قال عنهم المقریزی نقلاً عن ابن سليم :

تعيش بين البجا قومية أخرى هي الزنافيق . كانوا يخضعون للحدارب رغم تفوقهم العددي عليهم ، كانوا يخدمونهم ويقومون على رعى حيواناتهم وحراستها . إضافة لذلك كان كل رعيم حدرى يمتلك مجموعة من الزنافيق الارقاء الذين كانوا يتوارثونهم .

بدل هذا دلالة واضحة على لنظام الطبقي الذي جلبه الحدارب معهم من الجزيرة العربية ومارسوه على القبائل البجاوية ، وهو نفس لنظام الذي كن سائداً وسط السبئيين قبهم وبقبب اثاره الى القرن العشرين . لذلك فالحدارب كانوا يمثلون طبقة حاكمة بسبب انتمائهم العربى وتحولهم للدين الاسلامى الذى اعتنقوه منذ زمن بعيد (هذا رغم رأى المسعودى فيهم بأن اسلامهم كان رقيقاً) . أما القبائل الخاضعة لنفوذهم فكانت تدين بوثنية مقرونة بمسيحيه ضعيفه وبقبت عى ذلك حتى القرن اربع عشر .

هذه هي لقبائل التى اختلط العرب القادمون من مصر بها وكانت معروفة لكتابهم ورحالتهم . أما معرفتهم بالقبائل البجاوية الاخرى فقد اتسمت بكثير من السطحية والضحالة . ومملكتا بلجين وبازين الثان ذكرهم المسعودى قد يكون ساكنيها من القبائل البجاوية الشبيهة بالزنافيق ولكنهم لم يكونوا خاضعين للحدرب قد تكون هي نفس القبائل التى ذكرهم ابن سليم ووصفهم بأنهم يتحدثون لغة خاصة بهم وأنهم يعيشون حياة بدائة فى المنطقة الواقعة بين النيل وابحر . تنقسم هذه المجموعة الى قبائل متعددة وكانوا يعتقدون فى الوثنية أو كانوا يعبدون الشيطان يساعدهم فى ذلك بعض السحرة والكهن . كانوا يعيشون فى كهوف أو فى خيام من الجلد ووجبتهم الرئيسية كانت من اللبن ولحوم الحيوانات مثل الابقار والضأن . أما أسلحتهم فكانت من الرماح والدروع المستديرة

والسهام السامة . رغم أنهم يمتلكون جمالاً كثيرة الا أن بقارهم كانت أكثر شهرة ببونها الحذاب وقرونها الطويلة وإدار رها المتميز ذكر البعقوبى بأن عاصمتهم كانت تقع بالقرب من المنطقة الواقعة بين بركة وأنسييا وكانت تسمى هجر أو ديرهب . أنا شخصاً لا اتفق مع هذا الرأي إذ اعتقد بأنها لم تبعد كثير عن السيل أو أنها كانت على الطريق الواقع بين بلاد الذهب وعيداب وغالبية سكانها كانوا من لحدارب .

أما للملك الأخرى التي ذكرها المسعودي فلا اظن ان لها وجود حقيقياً وأنها لم تكن إلا سحراً من الخيال . والملك العظيم الذي حكم جارين قد لا يكون إلا امداداً لمليون أكسوم ، كما قد لا تكون كعبير ، عاصمة نجاش ، غير مدينة أدوليس . وذكر ابن حوقل (عام ٩٩٧) نهراً يسمى دقن أو بوجن ينبع من مرتفعات التقري وينتشر متلاشياً في المنخفضات الغربية في أرض مأهولة بالسكن . قد لا يكون المقصود بهذا النهر إلا القاش لأن بيز ، أحد الكتاب البرتغاليين ، قد ذكره أيضاً في القرن السابع عشر وقال ان اسمه دقين ، ويتفرع الى فروع كثيرة في منطقة يسكنها اللو الا أن يختفي نهياً . المكان الذي يتفرع فيه ذلك النهر سمي أيضاً بالفاكا . ستقى بيز معلومته من مصدر آخر هو احد المعامرين ابرتغال الدين صاحبوا ولي العهد النفرى (بحر الحاش) الى تلك الاصفاة . ويقال ان هذا النهر كان يلقي ببهر التكارى (عطبرة) . قد يصل نهر القاش الى تلك المنطقة في تلك الفترة أو قد يصل أيضاً الى النيل . ويعتقد ان بعض الاسماء القديمة لا زالت متسجلة الى يومنا هذا . مثال على ذلك قرية دقين الحالية التي تعنى بالبداوييت الأثافي .

عندما قرر بن جامع الرجوع الى مصر قررت بعض القبائل المكونة لجيشه مثل ربيعة وجهيه ابقاء في منطقة عيتباى ، واستصاعت ربيعة لاحقاً أن تأمن مصالحها وفرض سيطرتها على السكان المحليين بالمصاهرة ثم بالتحالف . سعت بعض القبائل العربية لآخرى اوصول الى ماوصلت اليه ربيعة من سيادة ومكانة ولكنها لم توفق

عاودت مناجم الصحراء نشاطها على نفس طريقة السخرة التي كان يتبعها الفراعنة ثم لبالسنة ، ن لم تكن أكثر رعونة وقسوة . انصب الاهتمام الأكبر على الزمرد أكثر من لذهب مما زاد من انتاحه . حاول لخلقاء سسط سلطانهم الكامل على المناجم وابتاجها

ولكنهم فنعوا في النهاية بثلث أو حتى بخمس الانتاح . لم يتضاعف انتاح هذه المناجم الا في العهد الفاطمي . تدفق الذهب والزمرد ولتوباز والفيروز وغيرها من الاحجار الكريمة الى القاهرة مما استحققت معه بحق تسميه الف ليلة وليلة . ويقال ان ابنة الخليفة الفاطمي المعز (٩٥٣ - ٩٧٥) امتلكت من زمرد تلك المناجم ما يساوي حمولته خمسة جوانات ، مما جعل كثيرا من الخلفاء الفاطميين يتصلع الى تلك الثروة الثمينة .

هذا لقدر من الثروة كان كافياً لان يتطاحن العرب من أجه . كان السبق في ذلك لأبي لعمري عبدالرحمن ، حفيد الخليفة عمر بن الخطاب ، الذي اعد جيشاً حاراً أعاد به فتح مساجم وادي العلاقي في عام ٨٧٨ وقضى بذلك على طموح المعامرين ، حتى وان كن ذلك مير مصر 'حمد بن طولون . الذي تعامل معه بكثير من الاحترام والتقدير . ويعتقد بأن القلاع في درهيب ووادي العلاقي هي أحد الحصون التي شدها بو العمري ، وفي نفس الوقت كان يستعمل مباء عديد لامتداد المناجم بالمعدات والمورد رغم محاولة بن طولون الفاشلة لايقاف ذلك المدد .

تحالفت مع أبي العمري بعض القبائل العربية مثل مضر وبنو تميم وكان قاسياً في التعامل معهم . أم ربيعة ، التي ناصته لعداء في وادي لأمر ، اثرت التحالف مع لبجا . وكتب لهذا التحالف الاخير النصر بعد معارك عديدة وضاربه قتل فيها ، على يد أحد ابجاويين . شفيق أنى لعمري في موقعة ميسا وهو في طريقه من عيذاب ليمد شقيقه بالمؤن المصوبة . وفي وقت لاحق قتل أبي لعمري نفسه عندما فر من حوله حبشه وارسل رأسه الى بن طولون في مصر .

وبهذا النصر كنت لربيعة العبة ولسياده ويذكر المسعودي بأن زعيمهم بشير بن مرون بن سحق امتلك تحت امرته في عام ٩٤٠ جيشاً قوامه ٢٠٠٠ من العرب و ٣٠٠ من الحدارب الذين اعتنقوا الاسلام في هذه المرحلة (يعتقد مؤلف كتاب مروح الذهب بأن هذه الارقام مبالغ فيها) . ويقال أن الحدارب الذين اعتنقوا الاسلام الان كانوا يمتلكون الحمال وينصفون بالكرم واشهامة ويعيشون في مجموعات صغيرة في الجبال والصحاري في ظروف ووصعية لا تختلف عما هم عليه الآن .

لم يكن ربيعة ومصر وجهنة هي القديلة العربية الوحيدة التي ستقرت في ديار البجا .

اذ أن مجموعة صغيرة من قبيلة الحورين عبرت البحر الأحمر فى القرن السابع ، وستقرت باحماسين حيث انتحلت لاحقا اسم لصنقة ، ثم طردوا من هناك بسبب العداوة القبلية . وانتقوا مرة أخرى ، عبر وادى ميرب (القاش) ليستقروا بالتاك حول جبال تولوس (كسلا) . بذلك يعتبر الحلقة من أوئل العرب المسلمين الذين استقروا وسط البحر . والقبائل التى وجدوها هناك احتفت تماماً غير أن هناك اعتقاد بأن القبائل الرئيسية فى تلك المنطقة هى الحفرة والكربكناب . وظهر الارتيقة على المسرح فى وقت متأخر حيث استقر جدهم باسفار بسواكن عام ٨٠٠ وزوج ابناؤه بنساء بجاويات . نتج عن هذا التزاوج قبائل الارتيقة والشعاياى والحرمان .

كانت قبائل البجا فى عيتباى على اتصال مستمر بالعرب والمسلمين وذلك بفصل ميناء عيذاب الذى كان يعتبر محطة للحجاج وحلقة وصل بتجارة الشرق الأقصى الداهية لمصر هذه الأهمية التجارية لم تتوفق وموقع عيذاب الجغرافى والمناخى ، حيث أن الميناء كان يفتقر للضروريات بما فى ذلك مياه الشرب التى كانت تجلب له من أماكن بعيدة . يعتقد أن ميناء عيذاب اشتهأ فى عهد البطالسة ووصلت المدينة الى أوج مجدها فى القرنين العشر والحادى عشر وذلك بفضل تجارة الهند والصين . كانت السفن الصينية عابرة المحيطات تجوب البحر الأحمر محملة بالتوابل مثل القرنفل والقرفة والفلفل وتحمل معها الى الصين القطن والسكر والتمور وبعض الاحدء البحرية التى كان يعشقها الصينيون ويرحر بها البحر الاحمر . توضيداً لهذه التجارة الرابحة أسس الصينيون لنفسهم نفوذاً تجارياً فى عيذاب . لم تعرف أسباب هذه العلاقة الحميمة بين البج والصينيين ، ولكنها للأسف لم تجد التوثيق اللائق بها .

تمتعت عيذاب ، رغم مساوئ موقعها ورداءة جوها ، برخاء اقتصادى جديد فى القرن الثانى عشر . تسبب فى ذلك الصليبيون الذين احتلوا القدس وقفوا جميع المناهذ المؤدية الى الحج باستثناء مرفأ عيذاب الذى لم تطله يدهم .

كان للبجا نصيب لا يستهان به من ذلك الرخاء لأنهم كانوا يسفرون الفواقل من ولى كوش ، وكان يقع عليهم عبء امدادها بما تحتج اليها من الاشياء المحلية مثل الماء واللبس والخطب وذلك بسبب سيطرتهم على المنطقة الخلفية لعيذاب . لذلك كانوا يقتسمون دخل

لرفاً مع الحاكم المعين من قبل سلطان مصر . وبيروى ابن بطوطة فى زيارته لعذاب عام ١٣٢٦ عن ملك البجا . لدى كان يسمى بالحدرى . كان له ثلثى لرفاً وثلث الآخر كان محتل سلطان مصر . رغم ذلك لم يأمن الحجاج ولا ممتلكاتهم من قساوة الصحراء ولا من مجامات البجا عليهم من حين لآخر . فمثلاً فى عام ١٣١٦ ، أو قبل فترة وجيزة من زيارة ابن بطوطة هاجم البجا ونهبوا ممثل اليمن ومجموعة كبيرة من التجار المصاحين له .

كان الوصول الى عذب محفوفاً بالخطر اذ كان من الممكن الوصول إليها عن طريق راكب صغيرة تحمل دائماً اكبر من طاقتها مما يعرض المسافرين للخطر . لهذا لم يكن مالك كاتب من كتب ذلك العصر وزار عذاب ولم يوصفها بكل قبيح وذميم ولاسيما علقسها وسلوك ساكنيها . رغم كل ذلك فإن الحركة التجارية فيها كان نشطة ويحوا لعاملين فيها روح المدمرة حيناً والربح فى حين آخر . ووصف المقرئى الحدارب الذين يسيطرون عليها بأنهم شبه بالحيوان منه بالانسان ، والحجاج الذين كتبت لهم النجاة من رحلة الحح الشاقة تعيرت ملامحهم وأصبحوا كمن بعثوا على التو من قبورهم .

ذكر ابن بطوية وجود بعض الكواهلة بن البجا فى عذب . ومما لاشك فيه انه كان يعنى الكميلاب الذين هاجروا بسبب خلافات محلية من دنقلا الى عذاب فى القرن الثالث عشر ، فهم لم يهتموا بالذهب والمناحم كإهتمام ربيعة بذلك . كان همهم الرئيسى هو رعى الحيوان ، كما اشتهروا بمهارة فائقة فى ركوب اخيل وصيد النعام وغيرها من الحيوانات الوحشية مما جعل لبجا يعجبون بهم . علاقة البجا بالكواهلة كانت ممتازة وبالذات بعد اسلامهم وكان ذلك سبباً فى المصاهرة بينهم حتى أن قبيلتين بجويتين هما الامرار والبشاريين ارتضوا أن ينسبوا الى كاهل .

اما المجموعة العربية الاخرى ذات الأهمية ولتى اختلطت بالبجا هى قبيلة الاشراف التى ظهرت فى سواكن لأول مرة فى عام ١٣٥٠ ، ثم للهيتكذب والسيقولات وجميعهم ينسبون الى بكر ودخلوا لسودان مع الحملة التى ارسلها ناصر بن قلاوون الى النوبة عام ١٢٨٩ . عندما رجع جيشهم اثرىوا النقاء بالسودان وهجروا الى القاش عن طريق نهر عطبرة .

لم يعرف بالتحديد مستوى قبضة سلاطين مصر على المنطقة الواقعة جنوب أسوان لأن

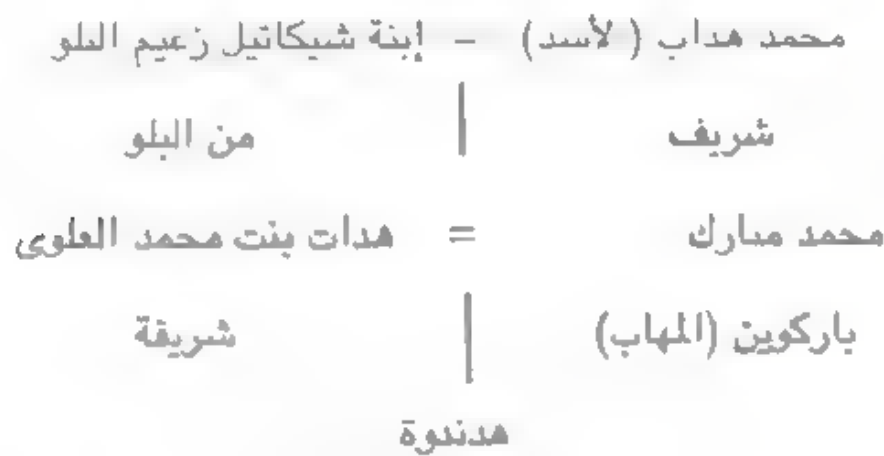
سلطتهم بالذات فى عيذاب وسواكن كانت تواجه مجموعة من العقدة . تعاقب الحكام على مصر بدءاً بالامويين والطلولونين والإخشيديين والفاطميين وأخيراً لأيوبيين والشراكسة والمماليك . قليل من هؤلاء الحكام كن يتمتع بقوة فعلية كالنمى تمتع بها بن طولون وبيرس بيه . رغم تعاقب هؤلاء لحكام على مصر الا أنهم لم يستطيعو فرض سلطة حقيقية على المنطقة الواقعة جنوب أسوان . بل قنعو بما تجود به هذه المنطقة على مصر من ذهب وأحجار كريمة وضرائب متحصلة من ميناء عيذاب اضافة للجنود السود لينخرصوا فى جيش مصر . والبجا من جانبهم لم يكفوا عن الهجوم على مصر كما كانوا يفعلون أيام الرومان ، بل كانت هجماتهم تزداد أيام الجفاف والمجاعة وتتسبب فى كثير من الأحيان فى قطع طرق التجارة بين عيذاب وكوس مما يستوجب حملات تأديبية بين الحين والآخر . وبصورة عامة كان سلاطين مصر قانعين بترك المنطقة وشأنها . ثم بدأت بصدائل أهمية عيذاب كميناء للحجاج وبالذات بعد انتصار صلاح الدين على الدولة اللاتينية فى القدس فى موقعة حطين عام ١١٨٧ . ولم تأت نهاية عيذاب الا على يد السلطان المملوكى بيرس بيه الذى قام بتدميره والقضاء على سلطان الحدارب فى عيتباى وذلك انتقاماً على لنهب ولسلب اللذان تعرضت لهما قافلة تحمل الهدايا الى مكة .

بعد ذلك انتقلت التجارة الى سواكن التى استقبلت أول سفينة تجارية هندية قبل أربعة أعوام من تدمير عيذاب . منذ ذلك لحين ولأربعة قرون لاحقه أصبحت سواكن هى الميناء الحيوى الذى يحتكر التجارة على جميع الساحل الغربى للبحر الاحمر . ومنذ منتصف القرن اربع عشر بدأ نفوذ الحدارب يتلاشى بسبب الاستنزاف الذى تعرضت له مناجم الذهب والزمرد فى عهد محمد حسن بن قلاوون مما جعله يصرف لنظر عنها . ومع تدمير عيذاب بدأ الحدارب يهاجرون نحو الجنوب مواصلين لهجرة بدأت منذ زمن بعيد . وتروى الاسطورة ان البشاريين طردوا البلو (كما يجب ان يسموا الان) من عيتباى فى القرن الخامس عشر ليحتموا بجمال أركويت وسنكات ، وظلوا فى تلك الموقع بصحبة عبيدهم الى أن ظهر الفونج على المسرح .

يذكر ان الفونج أرسلوا حملة هزموا فيها قوة مكونة من البلو والارتيقة فى سواكن عام ١٥٠٦ و احتلوا أثرها الميناء . وأنا شخصياً اعتقد بأن هذه القصة غير صحيحة والدليل

على ذلك ان عمارة دنقس ، أول ملوك الفونج ، أسس هذه المملكة بمساعدة العبدلاب في الجزيرة قبل سنتين من ذلك التاريخ وبالتالي فإنه يستبعد ان تصل جيوشه في هذه الفترة الوحيزة الى تلك الاصقاع البعدة . تزامن توسع لفونج ، أو بالاحرى حكم لعبدلاب ، نحو الشرق مع المانجك لكبير العجيب عبدالله الذى هرم البلو عام ١٥٨٠ أو قبل ذلك بقليل ومكث في سواكن طويلا وه يرجع الفضل في حفر حفير الفولة .

احتل الاتراك سواكن عام ١٥٢٠ وحينها وجدوا أن الارتيقة حلوا محر البلو في السيادة على الميناء . وتحكى بعض أساطير الهدندوة بأن نفوذ البلو أصبح يحسر شيئا شيا لدرجة أن مجموعة صغيرة من الهدندوة (حوالي اربعين فارساً) استطاعت ان تطرد للو بهائياً الى المنطقة الواقعة خلف خور بركة . وتضيف الاسطورة ايضاً بأن تسيخ البلو (شيكاتيل) أو ملك البلو الذى استمد اسمه من اسم جبل في شمال سنكات ، كن صهراً لغارس هدندوى قام بقتله وطرد عشيرته . ويمكن الوقوف على لنسب المزعوم في العلاقة لقبيلة التالية :



وكالعادة فإن الرويات القبلية هي أقل الروايات مصداقية لانها تعتمد على روايه لقولية والسمعية المتواترة عبر الأجداد وغالباً ما تكون عرضة لتغيير في الاسماء . ولنواريح . وفي هذا المصمار فإن البجا لا يختلفون عن القبائل لآخرى . ويعقد بان البشاريين هم أول من اكتسب كياناً قلياً مستقلاً واستطاعوا طرد اسلو من عبيدى في القرن الخامس عشر . يى ذلك الهدندوة ، الذين قاموا ايضاً بطرد البلو من منطقه سكك في القرن السابع عشر . أما الامرأر ، الذين يعيشون في التلال ، الواقعة جنوب ما يعرف الان ببيوتسودان ، لم يظهروا كوحدة قبلية منفصلة حتى عام ١٧٠٠ ، عبر ان حروبهم مع

الهندوة معروفة هل ذلك التاريخ ، أى فى لنصف الاول من القرن السابع عشر .

يعتقد أيضاً هى تلك الاثناء ان البجا الشماليين ، بتأثير من العرب ، تحلو عن لحربة كسلاح و خدوا يتسلحون بالسيف المسطح الطويل الذى أخذوه عن الصليبيين . ومنذ ذلك الحين هم شتوا جدارة فائقة فى استعماله . غير ان لحربة ظلت لسلاح الرئيسى وسط قبائل البجا الجنوبية و لسبب فى ذلك نهم كانوا أقل اختلاطاً بالعرب ، علاوة على أن لسيف كان ميزة تتصف بها فقط الطبقة الارستقراطية التى كانت مهيمنة عليهم . و لحراب المتسعملة لديهم هى التى ذكره المقرئى نقلا عن بن سليم حيث قل انها تسمى بالساعدة ، رلالة على طولها لذى يصل الى سبعة أشبار ، أى أن نصلها كان ثلاثة أشبار ومقبصها أربعة فقط . وفى الجانب الآخر يعتقد بنت أن الاسم ينحدر من أصل اكسومى . ولكن أنا شخصياً أجد نفسى نفق مع فولير الذى يرجع الاسم الى جبال سباعى فى سحراء الشرقية لمصر حيث توجد مناجم الحديد فى وداى زيدون . يقال بأن هذه الحراب كانت تقضى من نساء تلك القبائل لتى تعيش فى تلك المنطقة وتحتكر صناعتها وتضاجع رجالها ثم تقوم بقتل جميع الابناء الذكور عند ولادتهم .

عنى جميع البجا الاسلام فى الفترة ما بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، لذلك كانوا يرون من الكياسة والوجاهة الانتساب الى العرب . فمثلا نجد ان البشاريين والامرار ختاروا ، كما ذكر سابقاً ، الانتساب الى كاهل الذى سكنت ذريته منذ فترة بعيدة بين البجا . والهندوة فى الجانب الآخر اختاروا لنفسهم شريفاً آخر ليكون جداً لهم . لاشك ان هذه دعاوى سحيقة تفتقد الحقيقة والموضوعية ولكن الذى لاشك فيه أن لبجا الشماليين لانحلوا عروقهم من الدم العربى . ومن المحق أيضاً أن نذكر أن تزاوجاً ومصدرة قد تمت ولكن بسبب معاونة ، بين لبجا والقبائل العربية مثل الكواهلة وجهينة والحضارمة وربيعه والاشراف وغيرهم من متطغى العرب الذين تميزوا هم انفسهم بكميات ضئيلة من دم محطون واسماعيل .

ومع اعتناقهم للاسلام تخلى البجا عن نظام الانتساب للام . وفى ذلك يقول مورى بأن نساؤهم فقدوا كثيراً من الحرية التى كانوا يتمتعون بها ، ولكنهم فى المقابل كسبوا مكانة اخلاقية ذات اعتبار " يتصف العرب والقانون البجاوى ، على المستوى النظرى ، بكثير من

لصرامة والتشدد . ولكن غالباً ما يخرق هذا العرف مما ينجم عنه كثير من القتل والمصادمات والانتقام مما يستدعى تعويضاً مادياً أو معنوياً . ونجد ن الامرار و لبساريين اكثر تساهلاً من الهدندوه فمثلاً رفضت .ازعامة القبلية للبشاريين فى عام ١٩٣٢ اجبر العرامة المقررة لجريمة الزنا والتي كان قومها ناقة واحدة أو مايساوى فقط ثمانية جنيهات مصرية وذلك بناءً على الزعم بأن الأزواج انفسهم يساعدون على ذلك ويعلق ردى سعود على الجمال الذى تتصف به المرأة الامرارية من البلقاب / علياب الذين لا يعملون هو ردء الزنا .

تسببت مثل هذه الممرسات فى كثير من الامراض التناسلية التى كان لها تأثير كبير على مستوى الانجاب . هذه العلائق الغربية كانت تمارس كثيراً وتجد طرفها حتى اى اكثر لقبائل محافظة لدرجة أنها كانت تسمح بالحرية الكاملة للمرأة فى مناسبات الافراح مثل الزواج والختان . ويروى أن المرأة مزداد تفديراً ومكابة بفرد ما تجلبها لنفسه من اعجاب الرجال .

الفصل الناصر

اخضاع التقرى

(٧٥٠ - ١٧٠٠)

مثل تقرى

يرتفع التمر مع وجود الماعز

أدت هزيمة أكسوم فى القرن الثامن عشر الى إسدل سندر لمدة سنة وثمانية قرون تالية لشعب الذى كانوا يحكمونه . والممالك البجوية الثلاثة التى ذكرها اليعقوبى قد تكون دويلات خلفت مملكة أكسوم . ثم لم يكتب بها البقاء لفترة طويلة حيث اندثرت وحلت الفوضى والحروب الاهلية بالمنطقة . هذه القبائل التى ساحت للسلطة تناسلت عن ماضيها ، واصبح شغلها الشاغل . بعد اعتناقها للاسلام ، أن تجد لها نسبا يوصلها بسيدنا محمد .

أهم هذه المجموعات هى الألد ، الذين يوجد منهم فى السودان حولى ٤٠٠٠ بسمه و يوجد تسعة أضعاف هذا العدد فى اريتريا . أسست هذه المجموعة ، لفترة قصيرة ، ممكة على الساحل بير مصوع وعقرو . لقد احتفظوا ببعض نفوذهم التاريخى قبل حصوعهم لبيت عسقى فى القرن السادس عشر ، لذلك فهم كانوا يمانعون من التراوح من لطيفة الارستقراطية . يقال أنهم ينتمون الى المودار ، احدى قبائل قحطان المفقوده . وذلك بسبب لتشبه فى الاسماء الا أن هذه الافتراض يفتقد الدليل القطع . اضافة لذلك فهم ينسبون أنفسهم الى محمود المداى الذى انحدرت منه أيضاً قبائل ميكال والترقيلا لحرر والسمر . أما لحميسان وعد فضل فهم يعتقدون بأنهم أحفاد محمود أبومكروه لى تروح من بنت من اللو . وفى الجانب الآخر يدعى الابهشيل القراية لبيت معلا . وبحول الرقيات ، ولسوء حظهم ، ربط نسبهم بعدالله بن اى بكر الصديق الذى يعرفه الجميع بأنه مات ولم يكن له عقب . كل هذه الادعاءات لامكان لها فى التاريخ . وكل مايقال عن هذا الموضوع بأنهم ينحدرون من اصول قديمة تنتمى الى أكسوم . وبعد اندثار هذه المملكة دخلت هذه القبائل فى حروب ونزاعات طويلة ، ثم لم يعرف عنهم شيئاً حتى القرن السادس عشر والسابع عشر ، أى الفترة التى تمت فيها هزيمتهم واستعبادهم على يد

مجموعة صغيرة من الداخل افضل منهم تسليحاً ومقدرة .

تزامنت هذه الفترة الزمنية مع المرحلة التي ازدهرت ثم اندثرت فيها ميناء بادى على جزيرة إبرى ، خمسة عشر ميلا جنوب قرية عقيق الحالية . ويقال انها ازدهرت فى الفترة ما بين ٦٠٠ - ١١٥٠ وهجرت فجاء ثم دمرت نهائياً فى القرن الثانى عشر . سكن هذه ايناء كانوا من العرب الذين اختلطوا بالقبائل المحلية (البجا) وكانوا يناجرون فى دروع اسلحف واللؤلؤ والمرمر والعاج ، ولم يبق من ذلك الميناء فى الوقت الحاضر غير احواض يستغلها الرعاة أثناء فصل الشتاء .

فى القرن السادس عشر هبط بيت عسقى ، مؤسس الحباب والقبائل الاريتريه لآخرى ، من هضبة أكيلي قوزاى واكتسحوا القبائل الساحلية بين أنسييا وصبوا من أنفسهم طبقة إقطاعية لها السيادة والسلطة وذلك تقليداً للبلو الذين كانوا يسيطرون فى الماضى على المنطقة الواقعة بين سوكن ومزاقا . عند التقاء نهري عطبرة وستيت ، اضافة للمنطقة الخلفية لمصوع . هذه هى نفس المنطقة التى حددها لهم جون سيكس فى خارطه عام ١٧٠٩ وكذلك سير بيتر ويش فى كتاب قصة قصيرة عن نهر النيل والذى نشر بتكليف من الجمعية الملكية عام ١٦٧٣ ، علاوة على تعليق يوبو اليسوعى من لشبونه الذى عث لفترة طويلة فى أثيوبيا وزار سواكن وقال عنها انها جزيرة يحتلها الاتراك .

ثم أضاف قائلاً :

كانت جميع لسلطة بيد ملك شجاع سمي مملكته بالبلو (نجران القديمة) وسكنها كانوا من المور ورجالها وخيولها واغنامها كانت من أجمل ما رأيت وأن بطيحها من الذما تذوقت .

بوضع هذا ان البلو ، حتى القرن السابع عشر ، لازلو يسيطرون سيطرة كاملة على المنطقة الخلفية لسواكن . هذا رغم قناعتى التامة بأنهم طردوا من هناك حتى قبل محى العبدلاب ، أى قبل عام ١٦٠٠ . والدليل على ذلك ان لوبو كان يستغنى معلوماته من مصادر أثيوبية كانت تطلق كلمة البلو على جميع سكان شرق السودان . أما لخيول والرجال الذين شدوا انتباهه فلا أظن الا أن يكونوا جزءاً من جيش الفونج . تمت هزيمة البلو على يد

غويج ، سحبد العدلاب ، في حوالي ١٥٨٠ في معركة فاصلة دامت ثلاثة أيام في
ساحل مدريش على لبال المحيطة بعقيق . قتر في تلك الموقعة ملكهم محمد ادريس ادارا
محم حسيم سر هريمه . عبر أن فئة صغيره منهم استطاعت ان تفر وتحتوى بمصوع
حت لازالت لهم بقية هناك .

صم حس العدلاب قريفا من السعديت / جعليين لذين بقوا خلف خطوطهم بعد
سحب مهاجرين . هذه المجموعة مثلها مثل بيت عسقى نصت من نفسها طبقة
كده على نفس المجموعة . التى كان يستعدها لبلو من قبل تم هجروهم والتى سموها
لان (ما فى ذلك نفسها) بالبى عامر . وندعى الرواية القبلية ان الاسم مستمد من عامر
هو بن على بن الذى كان شخاً منجولاً يرجع اصله الى الجعليين والمهيتكناب ثم لقى
حس على يد لبلو بعد رواجه من حفيدة محمد ادريس ادارا . عندما بلغ ابنه عامر سن
لرشد كان عليه ان يقود الجيش تنقماً لابية . ومن هنا انتحل المتطفلون الجعليون اسم
الـ (من بيت) لنتصروا عن رعيهم . النظام الطبقي الذى ابتدعه كان اكثر قسوة من
الانصمه التى عهدوها . رغم انهم اخذوا لغة محكوميههم الا أن التزاوج معهم كان
محرم . لذلك حدد ان نظاماً طبقاً شديداً لصرامة فرض بين النابتاب والتقرى (رقيقهم
الذين يسمون الان هكذا) .

لم يوقف بعد سحق وتشيت لقبائل الحية ، وتسببت النزاعات القبلية فى ان يهاجر
حرء من المهتكناب فى منتصف القرن السابع عشر من القاش الى الساحل جنوب عقيق
اصطمو هناك بيت بهلاى (طبقة رستقراطيه من الحبيب تنتمى الى بيت عسقى)
بى نم باده بهادياً وبحويل رقيقه الى سباب البى عامر . قد ذلك الصدام الى تكوين
محموعة قبلية جديدة سميت بالأفلندا وطبقتها الحاكمة هى العجيلاب . فى تلك الاثناء
دعت بعض لقبائل مثل لحفرة والسكتكناب والبت والكربكنب . اما بضغط من البلو أو
من بعض لقبائل البجاوية الاخرى ، لى ما هو معروف الآن بأغوردات ، بالمحافظة الغربية
لاربيرى حت لازلوا هناك الى يومنا هذا . من هذا نرى ان لساحل الممتد من خور بركة
الى مصوع شهد احتلال ثلاثة مجموعات قبلية فى نهاية القرن السابع عشر . هذه
المجموعات هى لحبيب والبنى عامر والأفلند ، كل منها خضع لسطرة طبقة أجنبية

فرضت نفسها بقوة السلاح لإخضاع غالبية القبائل المحلية .

واعتامل الحاسم في تلك الهيمنة (كما كان في أورب في لعصور الوسطى) هو افرسر المدرعون الذين كانوا يمتطون صهوت جديد . وفي الجانب الآخر فإن البج كانوا كعادتهم يكون كراهية عميقة للخليل ، ذلك الحيوان الذي لم يستطيعوا بروضه ببد في حسمهم للمعارك كانوا يعتمدون على لسرعة الخاطفة والمباغة ولاستبسال يلبس لمحاربون من بيت عسقى والشعاديناب والعدلاب الخوذات ولدروع لواقية ، كما دجج جيدهم بالبسة واقية أيضاً . لم يكن للبجا الحفاة العراء مقدرة لملاقاة هذه القوة المنصورة بأسلحتهم التقليدية ، رغم ذلك استطاع لهندوة صد هجمات الفونج عكس قبائل التقرى التي استسلمت بسهولة لمثل تلك الهجمات . ولأزالت الذكريات المؤلة عاقلة بالادهن عن تن المعارك التي طاردت فيها جيوش الفونج فبول قبائل التقرى التي تبعثرت كالتشياه .

كنت الطبقة الحاكمة للبنى عامر والافلاندا من اصول عربية واسلامية لان تحول القبائل التابعة لهم للإسلام كن سريعاً غير ان نوعاً من المسيحية ظل سائداً بين الحباب الى القرن التاسع عشر .

لايهمنا الآن كثيراً الحباب ، الذين تنسب غالبيتهم الآن الى اريتريا . وسوف يكون لتركيز على النواحي القبلية والاجتماعية للمجموعتين الاخرتين وبصفة خاصة للبنى عامر . يرجع النظام الطبقي الذي فرضه النابتاب على القدائل الخاضعة لهم الى حدادهم ابلو اذين جلبو معهم هذا النظام من حضرموت . هذا النظام كان يطبقه المهاجرون من جنوب لجزيرة العربية ونبلاء أكسوم على القبائل الحامية في جنوب خور بركة .

استدعت طبقة النابتاب الارستقراطية نظاماً للعزل والتمييز شديد القسوة ولصرمة سرجة أنه أصبح نموذجاً قريداً يضرب به المثل في الهيمنة والاستعباد اللدان تمارسهم قلية قوية على اعلبية مغلوبه على أمره . فمثلاً نجد ان تعداد النابتاب لا يتعدى ٧٠٠ أو ٨٠٠ نسمة في حين أن تعداد محكوميههم يفوق الثمانية عشر الف مواطن .

كانت لعلاقة بين السيد ورقيقه (لتقرى) تتميز بالطابع الشخصي . كل أفراد التقرى كانوا يولدون كرقيق لاحد نبلاء النابتاب ، وبالتالي علاقة النقص الاجتماعي هذه كان من

الصعب الفكك منها . لم تصل هذه العلاقة الى العبودية بالمعنى الشامل لهذه الكلمة ، اذ كنت لهم بعض الحقوق المعترف بها مثل امتلاك الماشية وغيرها من الامتيازات الشخصية . اضافة ذلك فربهم لا يباعون ولا يتنكر عنهم ، الا أنهم كانوا يدخلون فى بعض المقايضات ، لحاصه ببعض الممارسات الاجتماعية مثل الزواج أو حل بعض النزاعات لقبية . كانت علاقة الهيمنة تظهر جلياً فى بعض الحالات ، مثلاً اذا قتل أو جرح واحد من الرقيق على يد أحد النابتين فإن تسوية هذا الامر كانت تتم مع سيد الرقيق الذى يدفع العويص الذى ينفق عليه . ومن ناحية أخرى اذا قُتل واحد من النابتين على يد أحد الارقاء لم يعاقب القاتل وحده بل طلب من سيده أن يسلم المتهم ومعه خمسة من اقربائه الى أسرة المقتول .

من الناحية النظرية كان هذا النظام يخضع لمجموعة من المنافع المتبادلة اذ أن الرقيق كانوا يدفعون ضريبة ويقومون ببعض الخدمات مقابل الحماية التى توفر لهم وبعض الهدايا التى تقدم لهم فى بعض المناسبات مثل الزواج والولادة ولختان وغيرها . من المظاهر الملفتة لذلك النظام هى التفرقة الكاملة لطبقة الرقيق والسبب فى ذلك أن طبقة النابتين قصدت ممارسة سياسة فرق تسد لغرض توطيد نظام الهيمنة . لذلك لم يكن من الغريب مشاهدة مجموعة من الرقيق المنتمين الى أسرة واحدة ولكنها مفرقة بين مجموعة من نبلاء النابتين .

وفى نفس الوقت كان هذا النظام يخضع لقدر كبير من الفصل بين الطبقتين . فمثلاً كان من نادر جداً ان يشارك النابتين رقيقه المسكن أو المرمى . علاوة لذلك فإن انسابى كان كسولاً ونادراً ما كان يذهب للحقل للعمل ، هذا عكس رقيقه الذين كانوا فى بحث دائم للماء والكلأ للماشية . النابتين كان يعين رعيماً للمعسكر ، أو بعلعاد كما كان يطلق عليه وكانت واجباته تنحصر فى حفظ النظام وفض النزاعات وتنظيم اعمال الرقيق فضلاً على استقبال الضيوف والسهر على إقامتهم واکرامهم . لذلك كانت خيمته تنصب وسط المعسكر وكان يتقاضى ضريبة لكل فتاة تتزوج فى المعسكر

رعايه الحيوان وحلته كانت من المهام الرئيسية التى كان يقوم بها التقري اذ أن التقاليد كتب صمغ لسانى القيم يمثل هذه الاعمال . هذه الميرة ، التى كانت سائدة حتى لفترة

عربية هي لنى كانت مفرو بين الطبقة الارستقراطية وتبعيةها . هذا التمييز كان قصراً
للابقار فقط لأن النابتانى الذى ارتبطت حياته برعى الابل لم يعلم شيئاً عن رعى الابقار .
وبالتالى كان طبيعياً أن تترك رعايتها وحلبها للتقرى الذى ارتبطت حياته صلاً بهذه
المهنة . وفى حقيقة الامر ان النابتانى انتحل صفة عدم حلب حيوانات نأصيلاً للنظام
الطبقى وللتمكن منه .

والعريب فى الأمر أن صفة عدم الحلب لم تكن قصيرة على النابتاب وحدهم ، بل نجدها
سائدة أيضاً وسط التقرى أنفسهم . لذلك كان من الممكن مشاهدة مجموعة من التقرى
نحلب الماشية ومجموعة أخرى تمتنع عن هذه المهنة . فمثلاً نجد أن مجموعات مثل الأندا
والأسفدا ومجموعات أخرى كنت تدرس هذه المهنة ، وفى الجانب الآخر نجد مجموعة
أخرى تضم الحماسين و، لأبهاشيل و، لويلينوهو تمتنع عنها . لم يعرف بالحديد من أين
جاء هذا لتمييز ، لأنه من المعروف أنهم لم يكونوا رقيقاً فى الأصل . يحتمل أن الرق
فرض عليهم إما بسبب هزيمتهم من بعض الطبقات المهيمنة و بسبب طلبهم الحماية
منهم .

كان يسمح للرقيق امتلاك الابقار وبعض الحيوانات الأخرى ، لذلك أصبح البعض منهم
كثر ثراءً حتى من سيده . رغم ذلك فكان هناك التزام دائم من جانبهم لقيام برعية
لماشية وحلبها وتوفير سمن والمنتجات الأخرى متى ما استدعت الحاجة لذلك إضافة
لذلك كان يطلب منهم فى المناسبات مثل الزواج والوفاة توفير لحيوانات اما اللبن أو اللحم
وكذلك توفير العمالة اليدوية والحيوانات لترحيل السيد ومدّعه .

ختلفت فى الأونة الأخيرة أو ندر استعمال هذه العادات وحل محلها تبادل لهدايا فى
المناسبات حتى أصبحت هذه العادة سائدة بين الرقيق أنفسهم وليست بينهم وبين النابتانى
كما كان متبعاً فى الماضى . ليس ذلك فقط بل أن مفهوم العبودية نفسه أصبح قل تسبوعاً
هذه الايام ، إذ أنه أصبح من لصعوبة بمكان التمييز بين الأرقاء و، أسادهم ، وان اللبس
ولسلاح و استعمال الحيوان اعتبروا نوعاً من العادة والذوق أكثر منه بفليداً يستلزم إتباعه
ونقيده به . كما لم يلزم الرقيق بعدم ركوب الخيل أو لبس العمامة و حمل السيف أو
وصع سرح على ظهره لجمال كما كان عليه الحال فى الماضى . رغم ما طرأ من تغير فى

العلاقة بين الطبقيين لأن النزوح بينهم لم يكن معهودا ، على الأقل بين بابنات لسود
ورقيفهم وذلك بسبب انهزاع العلى الذى كان يطلبه الناس لرواح بنانهم . علاوة على
التكاليف الباهظة الاخرى لمراسيم الزواج .

وبعل أنهم صفة بصر لسباب الحفاظ عىها هى اصرهم على حصول الجربة من
الرقيق وذلك تأكيداً لحالة الرق من جانب واحد ولتوسيد صفة سيادة من جانب اخر
ويظهر ان قوانين ميراث لرقيق لم تختلف كثيراً عن قوانين الشريعة وبالذات ما يخص
فصل الملكية وحق لجميع فى الميراث . لأنه فى بداية القرن لثامن عشر كان من الشائع
أن يرث الابن الاكبر جميع الرقيق شريطه أن يقوموا بجميع الخدمات المطلوبة منهم بما فى
ذلك حلب لماشية لجميع أفراد الأسرة . كانت الاناوات تجمع لرعيم قبيلة الناس (دقلر
وكل رعيم ساسى يقوم بهذه المهمة من رفقته كان له نصيب من المال المتحصل وسمى دن
بريال مشنقال لتسهيل عملية جمع الانوات من مجموعات الرقيق لكبيرة والمنفرقة كان
زعيم القبيلة يوكل هذه المهمة لاحد أقربائه ويسمى ذلك لشخص بشرفف ، وهى كلمة
تقرية قصد بها حراء أو حصة . لان هذا الشخص كان يعطى نصف من المال المتحصل
هد لاجراء كان من شأنه أن ينزل عند كثير عن كهل رعيم لأسرة وفى نفس الوقت
كان يجد استحساناً ورضاً من أفراد الدن لايملكوا رقيقاً . ومع مجى الحكم المصرى
ستبدلت الاناوات بصرية محددة بدفع للدقلر ، وفى عام ١٨٥٠ عنت الحكومة بعض
الرعماء لذلك الغرض لم يعير هذا الاجراء لطام السائد فى الماضى لأنه اضاف عند
حديثا للرقيق الدين كان عىهم دفع لضريبه مرتين مرة للزعيم الرسمى ومرة اخرى
للسرفف . فرض ذلك النظام لجميع القديل النطقة بالنقرى والتى خضعت لهيمنة الذببات
و لبو بعد هروبهم جنوب نحو مصوع ، أى بعد أن تحلى عنهم وهجرهم رقيقهم .

وعند الحديث عن البنى عامر لابد من تمييز بين مجموعين متميزتين . تتكون المجموعة
الاولى من بقاء تقرية ،هم ما يمثلها الآن هى الألداء والأسفد والحماسين - جميعها قبائل
ترجع اصولها الى العصر الحامى - السامى . أما المجموعة الثانية فتتألف من القبائل
الاصلية مثل الببت والسنتكتاب والحفرة واللبس والهدويقوبواب والكركتاب وغيرها التى

تعتبر أكثر المجموعات الحامية بقايا بالمقارنة بمجموعة التقوى . سحبت هذه البندوايت وتنسب إلى المصلحة الواقعة بين سبكات وعصرة . وفي وقت لاحق سبغت هذه المجموعة إلى الجنوب إما بسبب البؤ الذي يهتقروا عن عيبائى و بسبب قوة حرى من الشمال أدت إلى طردهم مع البؤ . أم الحفرة ولكرتبات فهم أكثر القبائل تواجد في الجنوب وطردها في مرحلة ما إلى بلاد زيريا . المجموعات الأخرى على احتمال منهم فهي وإن لم نخضع بصفة مستمرة للبؤ . لا أنها قد خصعت لبقودهم لبعض الوقت حتى تم اصهرها كلياً في البنى عامر . بذلك طوى مجموعة مسيئة بدى بولاً . اسماى بلدقل كزعيم قبلى إلا أنهم لم يقدموا مطلقاً أى خدمات لأى فرد من أفراد طبقة البند .

يعتقد لبعض أن المجموعة الأخيرة تنتمى إلى الهدندوة رغم سعيها الحديثة لى عامر . و ريادة حدثت لبعضهم وبأذات الهدويقوبيات وربما البند . وهذه المجموعة هي التي يعتقد بأنها أكثر السلالات الحاوية قدماً وعرفه . وتالياً إضافة لذلك اسم سبكتكبات (سكن سنكات) الذي تحمله واحدة من المجموعات رغم أنه لا يوجد واحد منهم في سنكات أو حتى بالقرب منها . وأخير الاسم لجامع الذي يعرفون به الآن وهو الحدرب وهو نفس الاسم الذي كان يطلق على البؤ في الماضي .

هؤلاء الآن أكثر قبائل البنى عامر بدابة وتخلها وأكثرهم تراسه . تم انهم انهم جنالطاً بالعرب حتى ظلوا في عزلة تامة كالوعل الذي بعض في حدلهم مدعمرس في حياتهم اعتماداً كاملاً على حليب الدعر . والحقيقة أنهم لم يخضعوا لنظام العبودية اسسب وسط البنى عامر مما يؤكد بأنهم لم يشكلوا جزءاً من مجموعات لرقيق التي بقيت بعد هزيمة البؤ . المحتمل أنهم ارتضوا الارتباط بالبنى عامر لطلب الحماية منهم . لذلك فإن اسم الحدارب أطلق عليهم عن طريق الخطأ بسبب لغتهم وروبطهم السابقة مع البؤ .

يمكن مشاهدة الاختلاف إلى يومنا هذا بين المجموعتين اللتين كاننا تسميان بالرقبق قد لا تختلف المجموعتين في التقاليد غير أن اختلافهم لازال واضحاً في البعة تم أنه أكثر وضوحاً في السلوك ولتكوين لشخصى . فقد التقوى . بسبب التشتت والعبودية . كل معنى الاعترار بالنفس بل اكتسبوا نوعاً من الازعن بحيث يسهل انقيادهم السرب لأى سلطة خروحية . وفي نفس الوقت فهم يتميزون بالخل والانعزالية والتك في العريب

جعر منهم هذا اكثر قبولاً لما يقرر لهم من دون نقاش أو براء لأي رأى ، وتطبعوا فوق ذلك بالصاعة لعمدء و لاعتماد على الغير وبعدم لمقدرة على القيام بشئ عمل جماعى .

وهى لمقابل بحد لحدارب اكثر شبهة بالقبائل البجاوية الشمالية الذين يتحدثون بلغتهم ولكهم ، كالتقرى ، خجولين وانعزليين ، ولكن لأسباب أخرى مختلفة . فهم يتميزون بالخشونة والاستقلالية والاعتماد على النفس وبعدم الرضى بالتدخل فى شئونهم الخاصة . رغم ذلك فإن الروابط لازلت قائمة ليس بينهم وبين التقرى فقط ولكن بين جميع المجموعات الحامية الأخرى واكثر الامثلة تطابقاً لهذا الموقف هو ما ذكره مستر هكسلى عن قبيلة المسى حيث قال (هنالك مزيج غريب بين غطرسة الدكور وليونة الأنثى) .

ومن هه بعضى الى القول بأن البنى عامر لايمثلون قبيلة منفصلة بالمعنى الدقيق للكلمة ، ولكهم ينفقون من مجموعتين بجاويتين متميزتين . الأولى والى وقت قريب كانت طبقة مستعدة وغير مستقلة ، والثانية هى مجموعة ارسقراطية عربية لجذور كاملة الاستقلال . لذلك عندما نتحدث بعض المصادر عن لبنى عامر فإنهم يتحدثون عن كيان لا واقع له ، لان الحديث فى هذه الحالة لأبد وأن يعنى واحدة من المجموعتين فإن تحدثوا عن التقرى فإنهم يقصدون تلك المجموعة السامية الحامية . وان قصدوا بالحديث عن الحدارب فهم ولاشك يعنون أكثر المجموعات لحامية نقاءً وافربها الى البجا القدماء ويقصد بلفظ الناساى ذلك الشحص ذو الانماء لعربى الذى إمتزجت دماؤه بالقبائل الأخرى مثل الارتيقة والاشراف وعد لشيخ ، أى القبائل لتى عرفت بإرسقراطية معهودة

الفصل التاسع

التركية السابقة (١٥٢٠ - ١٨٨٠)

كل رذائل الاستبداد الشرقى - جنكر (عن حاكم سواكن فى عام ١٨٧٥)

فى تقصينا لتاريخ القرون الثلاثة التى مضت بين الاحتلال التركى لسواكن ومصوع وبين احتلال محمد على الكبير للسودان فى عام ١٨٢١ لابد ان نعتمد على المصادر المحلية التى ، كما ذكرنا سابقاً ، شحية وغير دقيقة .

إذا استثنينا تلك المحاولة الوحيدة الفاشلة فى منتصف القرن السادس عشر والتى حاول الاتراك فيها بسط نفوذهم على مرتفعات التقرى ، فإنهم لهم يبذلوا جهداً إضافياً لتوسيع رقعة حكمهم ، بل اكتفوا فقط بالسيطرة على بعض المواقع الاستراتيجية على امتداد الساحل ، تاركين بذلك سكان المناطق الداخلية لشأنها . ذكر ليوافريكانس ، أكثر كتاب عصره الماماً بأفريقيا ، بأن سفنور الكبير كان له خمس ولاية فى افريقيا . وفى عهد بریت أیان عين واحداً من هؤلاء الولاية على سواكن لمواجهة تهديدات التركى الكبير . لهذا دعم ذلك الوالى باسطول كبير مكون من خمسة عشرة سفينة مرابطة بالسويس . ويضيف ليوافريكانس فيقول :

كان ملك النوبة فى حرب مستمرة مع قوم آخرين يقطنون الصحراء وينتشرون فى المناطق الواقعة بين النيل والبحر الأحمر بالقرب من سواكن . سعى هؤلاء القوم بالبوغا ويعيشون حياة بانسه ويعتمدون فى غذائهم على اللبن ولحوم الجمال وبعض الحيوانات الصحراوية الاخرى التى تقع عليها ايديهم .

لم يكن لوالى سواكن ، رغم لقبه الرفيع واساطيله البحرية ، السيطرة الكاملة على البجا . لذلك ، وكما يقول ليو ، فهم كانوا بعيدين عن سيطرته وبالتالي عن تشريعاته . كان رساموا الخرائط فى تلك الحقبة أكثر ميلاً للنواحي الجمالية أكثر منها بالحقائق الجغرافية ، الا أن خارطة قسطلدى فى عام ١٥٦١ أشارت الى زبد (عيزاب - دمرت عام

١٤٢٦) وايضاً سوكن والعلافى فى صحراء البوعا كما أشار أيضاً الى مدينة أخرى سمها فوينجى فى مملكة البلو . يعتقد أنها تقع فى محلى النيل بالقرب من أبى حمد غير أن حارسة جاسور التى رسمها عام ١٦٦٠ تعتبر أكثر دقة فيما يخص الحشنة . التى كان على المام جيد بها وذلك بسبب بعض المصادر البرتغالية ولكن دقته بالمواقع الأخرى لم ترق الى ذلك المستوى . وكسابقه قسطالدى . فهو أيضاً يوضح ريد ويضع مملكة البلو بالقرب من دافلا . وتختفى هما فوينجى لتحل محلها سنة التى تمتد لى الشرق بعيداً عن النيل يحد وصف لبو دعماً من دور جوان دى كاسترو ذلك النيل الاساسى الذى أبحر مع استيفيدو دى عامما فى حملته الفاشلة ضد السوييس عام ١٥٤٠ . ويلخص مشاهداته عن سواكن فيما يلى

تعتبر من أعنى مدن الشرق وتقع على ساحل أبيشى . . . فهى تتاجر مع جزر الهند وبالذات مع كامبايا وتناسارين وبيقو وملقا ومع الخليج العربى الى جدة والقاهرة والاسكندرية وتستجلب من أثيوبيا وأبيشى كميات كبيرة من الذهب والعاج . ويضيف عن البجا قائلاً

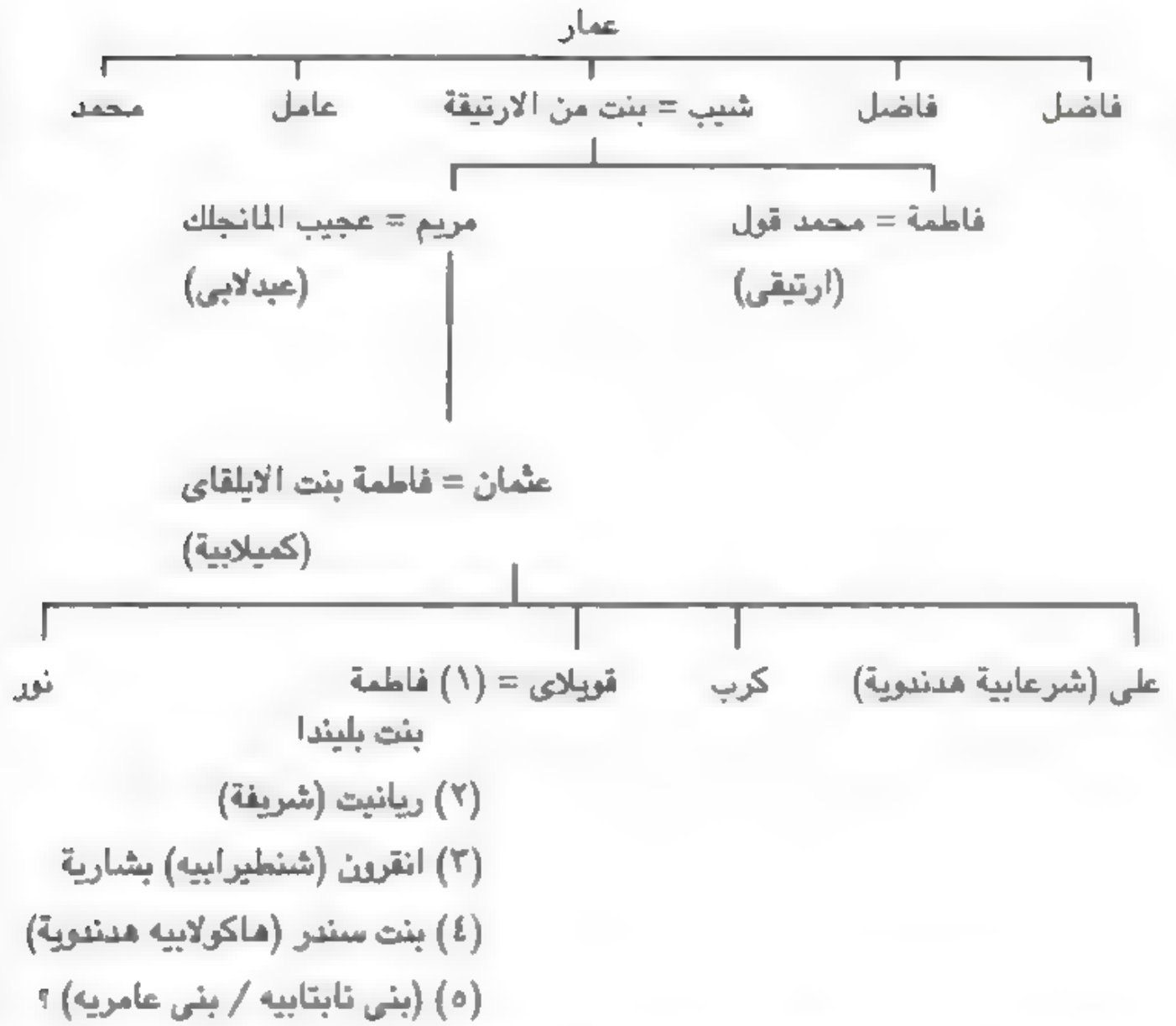
هم فى حرب مستمرة مع جيرانهم ومع الجميع . فهم ينتمون الى قبائل متعددة لا يحكمها ملك أو حاكم كبير . غير أن فرع كل قبيلة من هذه القبائل يخضع لشيخ فلا توجد فى أرضهم مدن ولا يسكنون فى بيوت ثابتة لأن من تقاليدهم التجوال والترحال مع قطعانهم .

من هذا نرى أن القرن السادس عشر يشمل وقائماً أكثر دقة عن البجا بالمقارنة للقرن السابقة فهنا تتكرر الصورة عن البجا وهجومهم على وادى النيل وغاراتهم على قطعان بعضهم البعض . فهم بذلك فى حرب مستمرة من أجل الماء والمرعى كما كانوا يفعلون فى الماضى والحاضر وربما فى المستقبل أيضاً . تعتبر هذه الفترة الزمنية رغم إفتقارها للتوثيق التاريخى هى الفترة التى بدأت تدب فيها روح الوحدة بين القبائل البجاوية بالصورة التى نعرفها الان . كان الأمراة والبشاريون والهندوة يمرون بمرحلة الانصهار التى كان عليها ان تصقل بالحرب ليس مع جيرانهم فقط وانما أيضاً مع مملكة الفونج . على الجنوب الغربى . التى تسعى لمد نفوذها الى جبال البحر الأحمر .

كانت محاولات سنار لفرض سيطرتها على شرق السودان تشهد نجاح حرب
ارسلت حملات متعددة ضد البجا لاستغلال مجامع الذهب بالبحر الأحمر . لم يكتب لنجاح
لهذه الحملات . كما فشلوا في تحييد قوة الهدندوة التي بدأت تتعظم بعد سيطرتهم على
الجبال المحيطة بسنكات وزكويت . وكانوا هم السبب أيضاً في المضي في طرد البلو
والسنكاتكناب وغيرهم من الذين يوصفون الان بالبنى عامر .

فشل الفونج أيضاً في الوصول الى عيتباى بسبب المقاومة الشديدة ضدهم والتي . كما
ذكر سابقاً . كانت أكثر شراسة وسط القبائل الشمالية بالمقاربة للقبائل الجنوبية . لذلك
استطاعوا في عام ١٦٠٠ من إنشاء إدارة قبلية (البنى عامر) في الجبال الواقعة جنوب
خود بركة . اضافة لسيطرتهم على خط عطبرة مع إنشاء بعض النقاط في أسوبرى وقوز
رجب . ومن ثم استطاعوا السيطرة على قبائل القاش وسيتيت علاوة على الحلقة
والحمران وبعض القبائل الاخرى . والغريب في الأمر أن الارستقراطية العربية التي
فرضت سلطتها بحد السيف على مجموعة كبيرة من الارقاء البجاويين - الذين يسمون
الان بالبنى عامر - تحالفت مع الفونج وطلبت منهم الدعم . لذلك فإن زعيمهم (الذى سمي
بالدقل) منح لقب المانجل وتوج بالطاقيّة الخاصة لهذا الغرض . وتروى الوقائع العبدلابية
بأن سلطنتهم تمكنت من حكم عشر مقاطعة في الصباح (أى قبائل شرق السودان) وشمل
ذلك النابتاب والحلقة والحمران . بعد ذلك بدأ الضعف ينخر في عظام السلطنة مما
أضعف روابط البنى عامر بسنار .

ظلت القبائل البجاوية الشمالية في مواقعها الجبلية والصحراوية شمال خط عرض ١٩
حتى بداية القرن الثانى عشر . اجبرت هذه الظروف القاسية قبائل المنطقة ان تبحث
لنفسها مخرجاً نحو المناطق الأكثر جذبا من ناحية المرعى والمعيشة وكان السبق في ذلك
للأمرار الذين يقطنون المنطقة الخلفية بما يسمى الآن ببورتسودان . اتصفت هذه القبيلة
بالفطنة والطموح لذلك دعمت توسعها بالمصاهرة مع قبائل مثل الارتيقة والاشراف
الشاريين والهدندوة وغيرها من القبائل التي اعترضت سبيلها . ويوضح النموذج التالى
تزاوج الأمرار مع القبائل الاخرى ومانتج عنه وفقاً لمقالة ساندرز عن الأمرار في ميوات
وسجلات السودان مجلد ٢٨ رقم ٢ .



لا يعرف بالتحديد ما إذا كانت اضافة عجيب المانجك لهذه الشجرة تعتبر من الحقائق التاريخية المتفق عليها ، غير ان هذا الموضوع له مغزى تاريخياً لأن هذا الشخص مات في كلكول عام ١٦١١ . أيضاً يمكن افتراض ان البشاريين والهندنوة ظهروا ككيانات قبلية مستقلة في فترة مبكرة في منتصف القرن السابع أو قبل ذلك . غير أن ساندروز يفترض أن المانجك ليس له موقع في تاريخ الامرار . ويقول في ذلك :

قد يبدو الامر برمته على أنه محاولة للقبيلة لربط نفسها بطبقة الفونج الارستقراطية ، لذلك اقحم اسم عجيب في هذه الرواية اما شهرته كمانجك أو فعلا انه قام بزيارة لسواكن وضواحيها وهو في طريقه الى الحج أو لأسباب أخرى .

لايتطرق مؤرخو العبدلاب الى هذه الرواية ، لكن هنالك اعتقاد جازم بأن عجيب فعلاً

مدينة سواكن



قد زار سواكن حيث مكث هناك فترة من الزمان . لذلك لا يستبعد مطلقاً ارتباط أو زواج عجيب بإحدى فتيات المنطقة . كما يدعى الأتمن ، إحدى قبائل البحر الأحمر ، بانتمائهم الى عجيب العبدلابى . فى عام ١٧٢٥ استطاع بعض الأتمن بقيادة زعيمهم محمد أقيم (١٧٠٠ - ١٧٦٠) التوغل غرباً وجنوباً حتى مسمار داخل اراضى البشاريين . لم يكن هذا التوغل سلمياً فى كل الاحيان ولكنه كان اقوى تحت قيادة زعيمهم البارز محمد هساي (توفى ١٨٤٠) الذى تقدم بهم وتركهم حيث هم الان . وفى الجانب الآخر فضل النوراب الهجرة الى طوكر فى منتصف القرن التاسع عشر .

البشاريون هم المجموعة الثانية التى بدأت الهجرة . يقال انه فى عام ١٧٦٠ ابدى الكمالاب والمرقوماب ، أولاد كاهل أيضاً ، تعاظداً مع البشاريين فى نهر عطبرة ضد المسلمية والبطاحين المستوطنين بالبطانة . ومن المحتمل أيضاً أن بعض فروع البشاريين قد وصلوا الى عطبرة حتى قبل ذلك التاريخ ، ولكن هجرتهم الرئيسية بدأت من منطقة أرياب بقيادة قائدهم الكبير حمد عمران . وجد البشاريون حول عطبرة منطقة غنية بالماء والعشب عوضاً عن عيتبای ذات الموارد الشحيحة وبالتالي بدأوا يستقرون فيها الى يومنا هذا .

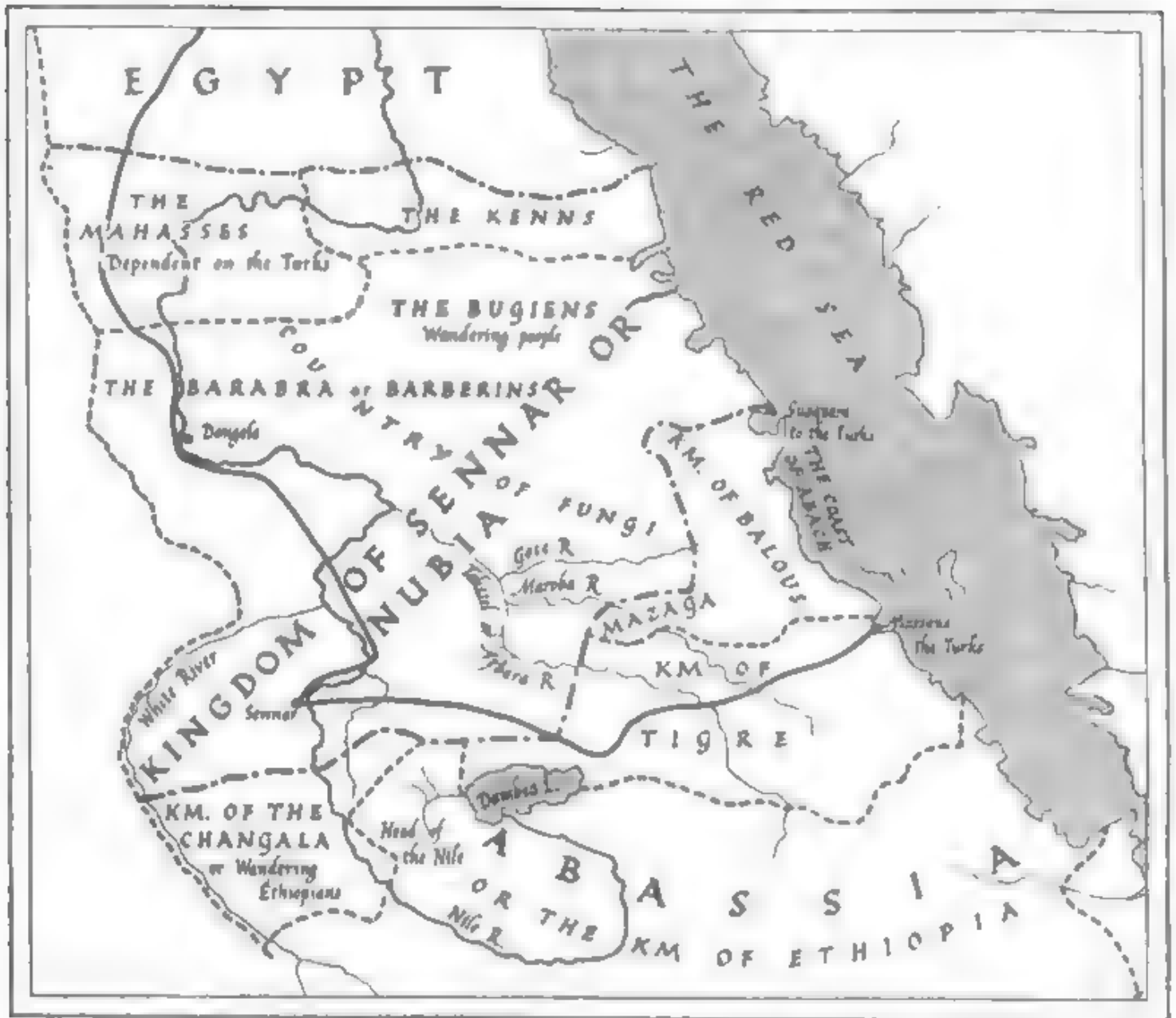
آخر مجموعة من القبائل البجاوية التى هاجرت بحثاً عن حياة افضل وامطار اغزر هي الهدنوة . امتدت هجرتهم نحو الجنوب فى الربع الاخير من القرن الثامن عشر تحت قائدهم الفذ ويلالى محمد ، الجد المباشر للناظر الحالى . وأول من احس بوطأتهم هم الملهيتكناب ، قبيلة صغيرة ولكنها غنية ووصلت الى السودان فى مجموعتين ولكن بطرق مختلفة . عبرت المجموعة الأولى البحر الأحمر فى القرن الثانى عشر واستقرت على الساحل وتوغلت حتى ملهيت (من هنا جاءت التسمية) على ملتقى خورى ويندى ولانقيب . أما المجموعة الثانية فجاءت فى وقت لاحق عن طريق دنقلا وعطبرة والتحمت مع المجموعة الأولى فى حوالى ١٢٠٠ . وفى منتصف القرن الثامن عشر وجدوا انفسهم ، ومن سوء حظهم ، فى مواجهة مع الهدنوة . كان الملهيتكناب من أغنى القبائل وبالذات بالجمال حتى ان زعيمهم لقب بقمد هسال (أى ذى الرسن الطويل) . انتهى أول صدام لهم مع الهدنوة بطردهم جنوباً نحو أودى ثم الى أم ادام ، فى الحدود الشمالية من دلتا القاش . وهنا وجدوا انفسهم مرة أخرى امام خصم جديد هم الحنقة .

توفي ويلالى محمد حوالى عام ١٧٨٠ ودفن فى خور لانقيب . لكن الهنديوه واصلوا زحفهم تحت قيادة ابنه محمد حيث تم لهم طرد الحلقه والمهينكباب والسيقولات الى تولوس (كسلا) ، ومع حلول القرن التاسع عشر وصل الهنديوه الى عطبرة بعد أن وطدوا اقدمهم فى القاش وأخذوا من فيليك عاصمة لهم . فى عام ١٨٦٠ زار ليجان تلك المنطقة ووصفها بأنها قرية صغيرة غير جذابة وتتكون من الخيام البجاوية المتناثرة حول بئر .

ويروى بيركارت ، الذى سافر من شندى الى سواكن قبل عام من معركة وترو ، بأنه وجد البشاريين والهنديوه حيث هم الآن وابدى انطباعاً سيئاً عن كليهما . ثم اضاف قائلاً عن البشاريين بأنهم سلالة جميلة القسمات مقدمة فى الحرب وتحمل السلاح باستمرار وفى حرب مستمرة ، اضافة بأنهم غدارون وقساء وبخلاء ومحبين للإنتقام . وكان رآيه عن الهنديوه أكثر قسوة اذا قال : لم أر جنساً اقل رحمة للأجنبى من الهنديوه . ثم زارهم مرة أخرى فى فيليك بالقاش وهو فى طريقه الى سواكن . فى هذه المرة علق على جودة قطعانهم من الماشية والجمال كما سرد قائمة من السلع التى كانت تعرض فى اسواقهم . ضم ذلك الابقار والجمال والسروج والتبغ والحبال والجلود والملح وريش البعاب والبروش والقفف والحبوب والصناعات الفخارية المحلية والخرز ، هذه هى نفس السلع المتداولة اليوم مما يدل على أن البجا لم يتغيروا كثيراً لفترة المائة والخمسين عاماً الأخيرة .

وصل الهنديوه فى تلك الاثناء الى عطبرة شرق قوز رجب ، غير أن البشاريين كابو الى الشرق أكثر مما هم الآن وكانوا يغيرون بصورة مستديمة على القاش الا أن الهنديوه كابو أقوى منهم مما اجبرهم على التراجع نحو الجنوب حتى مرتفعات اريتريا ونحو منطقة الشكرية فى نهر عطبرة . وواصل الهنديوه توسعهم فى اراضى القبائل الاخرى الا أن وجدوا أنفسهم أمام خصم جديد أكثر منهم قوة وهو جيش محمد على ، والى مصر ، الذى أرسل جيوشه عام ١٨٢١ نحو الجنوب للقضاء على مملكة الفونج ومن ثم احتلال السودان .

بدأ الاتراك احتلالهم بحملة محمد بيه الدفتردار التاريخية عام ١٨٢٢ انتقاماً لمهل اسماعيل باشا فى شندى . كان عليهم أن يعملوا الكثير ولكنهم لم يولوا فى بدايه حكمهم



جزء من خارطة جون سينيكي ١٧٠٩

اهتماماً يذكر بالمنطقة الشرقية وقبائل التاكا والبحر الأحمر . ابدى محمد على رغبة شديدة فى الاستيلاء على الثروة المعدنية فى المنطقة . لذلك أرسل فى عام ١٨٣٢ لمنطقة عيتبای مهندساً فرنسياً هو لينان دى بلفوند ليقیم له المناجم القديمة فى المنطقة . وله برجع الفضل فى السرد الشيق عن المنطقة وبشاريى المنطقة الشمالية الذين كانوا فى منأ عن يد الادارة المصرية . أثار ذلك التقرير دهشة المصريين كما رواه لهم بلفوند بعد وصوله للقاهرة . وجد بلفوند أيضاً صعوبة فى التوغل حتى جبل إلبا الذى كانت تقطنه جماعة من اللصوص غالبيتهم من حمدأوراب والشنتيراب . انه لم يرو شيئاً عن القبيلة الا وكان مطابقاً للواقع . ايضاً من ملاحظات بلفوند الهامة عن البشاريين هو مستوى التشابه الكبير فى المظاهر الجسمانية بينهم وبين المصريين القدماء كما هو ظاهر فى المومياء القديمة .

لقد ورد وصفه للبجا فى موقع آخر . غير ان ملاحظاته الجديرة بالذكر هو قوله أن للبجا مقدرة عجيبة للصبر على الجوع . انهم يمضون أياماً عديدة بكمية ضئيلة من الراد . ولكن عندما تسمح الظروف فإن شخصاً واحداً منهم يستطيع التهام شاة بأكملها فى وجبة واحدة ثم يظل أياماً عدة بدون غذاء . هذه ميزة لازالت تلازم أحفادهم ولا تتوفر الى فى الاصله العاصرة .

ويضيف بلفوند عن مقدرتهم الفائقة فى رعاية الجمال وركوبها . الا انه لم يذكر شيئاً عن السلالتين الجديدين للجمال اللتين اشتهر بهما البشاريون وهما بانقير وكلايواو . ومن رواياته الطريفة انهم يتركون انثى الحمار اثناء فترة التلقيح فى عزلة حتى يتم تلقيحها بذكر فى الصحراء . وفى اعتقادهم ان نتاج هذا التوالد يكون اكثر قوة وسرعة .

لم يجلب السودان للادارة المصرية ما كان مرجواً منه من المال والثروة . لذلك أرسل على خورشيد باشا حملة عام ١٨٣٢ لجمع الضرائب فى منطقة التاكا . جلبت هذه البعثة معها كميات كبيرة من الماشية وكميات اقل من الذهب . لم يكن ذلك بدون مقابل اذ أن حملته وجدت مقاومة شرسة من الهدندوة فى غابات القاش مما اضطره للاستقالة من منصبه . وبعد ثمانية اعوام جهز احمد باشا ابواضان حملة كبيرة أخرى هدفها الرئيسى هو نهب كل ما هو مستطاع . رغم أن هذه الحملة لم تواجه مواجهة كبيرة الا أنها لم

سسطع اخضاع القاش . كما لم تستطع جمع كميات كبيرة من الضرائب . ولكن الانجاز الكبير لهذه الحملة هو تأسيسها لمدينة كسلا كنقطة عسكرية يتم من خلالها الاشراف على النجا الجنوبيين . ويحذر بالذكر أنه اثناء تلك الفترة تم اعتقال زعيم الهدندوة محمد دين بصورة مكره وإرساله الى السجن فى الخرطوم حيث مات هناك . وصف ورن محمد دين بأنه شخص متوسط القامة يميل الى السمرة أو السواد كبقية ابناء جلدته . كان يلبس اللبس العربى وسرولاً انيقاً احمر اللون . موت هذا الزعيم ورحيله عن المسرح لم يحدد لقبيله ولم يقض على جذور المعارضة التى تواصلت حتى أن تولى السلطة حاكم عام جديد هو أحمد باشا الميبكى الذى لقب بالجزار لقضائه على المقاومة بأعلى درجة من القسوة والفظاعة ووصف كميغ ماحدث قائلاً

لقد ذبح عشرات من البجاويين ومثل بهم شر تمثيل ، ودفنت ابارهم وبترت ارجل قطعانهم . كان الباشا يتلهى ويتلذذ بقتل الرجال حيث اعترف واحد من صنيباطه بأنهم كانوا يختبرون حدة السيف وجودته بمقدرته على قطع الاسرى الى نصفين بضربة واحدة وحتى نساء البجا العفيفات لم يفلتن من يد الباشبوزق . اخذ معه الباشا عند عدوته للخرطوم اربعين زعيماً من زعماء الهدندوة حيث تم شنقهم فى ميدان عام بسوق الخرطوم . أدى ذلك الى كسر روح المقاومة لدى القبيلة لذلك لم يواجه الحكم التركى للأربعين سنة التالية أى مقاومة تذكر .

اقتنع المصريون منذ ذلك الحين الى ترك هذه المنطقة وشأنها . لم يوقف ذلك الباشبوزق وجامعى الضرائب من ان ينهبوا المنطقة باسم الدولة . تواصلت هذه السياسة حتى اثناء فترة حكم مونرقار القصيرة التى امتدت من ١٨٧٣ الى ١٨٧٥ . لم يسلم من تلك المعاملة غير القبائل الساحلية التى لم تكن على اتصال بسواكن ، الا أن الادارة المصرية انشأت لها نقاطاً فى طوكر وأركويت وحتى فى بعض المناطق الداخلية النائية مثل تميرين . ومنذ ذلك الحين اصبحت قبائل البشاريين فى عطبرة وعيتباى مجموعتين قبليتين منفصلتين . اجبرت المجموعة الاولى لدفع الضرائب بسبب وجودها على النهر بين بربر وكسلا ، فى حين أن المجموعة الثانية لم تخضع لاي سلطة ولم تدفع الضرائب المقررة رغم الحملات التى كانت ترسلها بربر من وقت لآخر .

الضريبة التي حددت للأمراء كانت تقدر ما بين ٥٠٠ - ٧٠٠ جنيهاً مصرياً ، إلا أنها لم تجمع في كل الأحيان وإن جمعت فكانت أقل مما هو مقرر . لم يسمع عن الأمراء منذ ذلك الحين إلى قيام الثورة المهدية . والأمراء مثلهم مثل الهدندوة كانوا يشرفون على ترحيل التجارة عبر أراضيهم ، وكان ناظرهم يتلقى ، من مقر إقامته بأرياب ، رسوماً مالية عن التجارة المارة بين بربر وسواكن . وكانت سواكن في تلك الأثناء تشتهر بتجارة الرقيق والخيول والحبوب والسمن وريش النعام والجلود وبعض الذهب . وقدر بيركارت أن ما بين اثنين وثلاثة ألف من العبيد كانوا يغادرون ميناء سواكن سنوياً . كما ذكر أيضاً بأن الضريبة المقررة للخيول كانت أعلى من تلك التي كانت تدفع للرقيق ، وأن كميات كبيرة من فائض الذرة من العاش كانت تصدر عبر سواكن . ويضيف بيركارت قائلاً بأنه لا يمكن لأي سفينة أن تغادر سواكن إلى الجزيرة العربية إلا بعد أن تملأ بالذرة من التاكا .

بعد إنشاء كسلا أنشأت محطات أخرى على الجنوب في أراضي البني عامر وفي منطقة بقوس الجديدة التي احتلت حديثاً والتي تمتد حدودها من نهر سيتيت إلى كرن . كما أنشأت نقاط إضافية في قوز رجب . وبالقرب من أروما بالقاش . ويمكن الحصول على تفاصيل هذه الفترة عن طريق الرحالة الذين جابوا المنطقة والذين أجمع جميعهم عن عدم رضا المواطنين للحكم المصري . ولكن البجا صبروا عليه واحتملوه أما بسبب تأثرهم الجزئي به أو خوفاً من مجابتهم للأسلحة التركية المتفوقة .

كانت التاكا تعتبر من المحافظات الفقيرة إذ أنها كانت تعاني من عجز كبير بين الدخل والانفاق . فمثلاً في عام ١٨٧١ وصلت المبالغ المحصلة من الضرائب والمتأخرات حوالي ٤٠.٠٠٠ جنيه مقابل ٢٦٠.٠٠٠ جنيه هي عبارة عن ماصرف على موظفي الحكومة والقوات المسلحة . وفي واقع الأمر أن غالبية الانفاق كان على النواحي الدفاعية . ويظهر هذا الوضع جلياً في ميزانية مونزقار عام ١٨٧٤ التي وصل فيها الانفاق العسكري ٧٦.٠٠٠ جنيه من مجموع الميزانية التي بلغت ٩١.٠٠٠ . هذا الوضع كان سبباً في نشوب تمرد عام ١٨٦٥ وكان سببه تأخر الرواتب وفساد الضباط . كانت القبائل البجاوية في غاية السرور مما آلت إليه الأوضاع داخل الجيش وبذلك وجدوا الفرصة سانحة في عدم دفع الضرائب .

البنو عامر هي القبيلة الوحيدة ، بعد الحلقة ، التي استبشرت بمجئ المصريين للسودان ، غير أنها اسفست لموقفها هذا فيما بعد . ويرجع سبب فرحتهم انهم وجدوا أنفسهم بين عدوين لدودين هما الاحباش على الجنوب والهدنوة على الشمال الغربى . وهذا الوضع الذى لا يحسدون عليه جعلهم يرحبون بالمصريين والاتراك عام ١٨٤٨ ليكونوا لهم عوناً ضد الهدنوة . وساعت الامور لدرجة أن طبقة النابتاب الارستقراطية لم تجد العون الكافى للسيطرة على الامور داخل المجموعة الادارية التابعة لها . ادى ذلك الى صعوبة فى جمع الضرائب التى لم تدفع الا بالقوة . ادى ذلك أيضاً ان يستجد الزعيم دقلل حامد موسى بمدير التاكا لقمع التمرد داخل القبيلة ولصد العدوان الخارجى عنها . اذا كان جمع الضرائب بهذه الصعوبة بين البنو عامر الموالين للحكومة فلاشك أنه كان مستحيلاً بين القبائل الأخرى . وحتى ذلك الجزء اليسير الذى يتم جمعه فانه يقسم بين الزعماء والجنود والموظفين وحتى الحاكم نفسه ، قبل ان يصل شئ منه للسلطات الحقيقية .

تبوأ اسماعيل باشا ، حفيد محمد على الأكبر ، مقاليد خديوى مصر عام ١٨٦٢ خلفاً لعمه سعيد باشا . وعلى التوتبنى سياسة توسعية وتنموية طموحة ولكنها غير عملية . لذلك انتزع سواكن من الاتراك وعين عليها المهندس الحربى احمد ممتاز الذى انتهج أيضاً سياسة غير واقعية فى العمل والتنفيذ . رغم ذلك فإنه كان يتمتع بالثقة الكاملة من الخديوى ، لذلك رقى الى حاكم عام لشرق السودان اضافة لمنطقة الجزيرة . تلخصت سياسته الجديدة فى بناء خط حديدى من قصير الى سواكن وزراعة القطن فى التاكا وكسلا (إنتاج المنطقة الاخيرة كان يشحن الى مصر عن طريق قوز رجب) اضافة لتحسين السكن الشعبى لسواكن ومدّه بشبكة من المياه العذبة من تمانيب . شملت أهتماماته الأخرى زراعة قصب السكر والزهور والعنب وحتى الياسمين ، فى ارض ابعد ما تكون عن مثل هذه الزهور . لقد فقد صداقة الجميع وعلى الخصوص جعفر باشا مظهر ، الحاكم العام ، الذى كان ينظر الى برنامجه التنموية الاسرافية بعدم الرضا والاستحسان مما تسبب فى استدعائه .

من سياساته الغريبة انه فرض على القبائل المحلية المستفيدة من برامجه توفير عمالة مجانية لعماله وترحيل امتعتهم مما كان له أثر فى الركود التجارى والاقتصادى . رغم كل

ذلك أن جنكر لاحظ ، أثناء مروره بسواكن عام ١٨٧٥ ، الرخاء الذي تعيشه هذه المدينة حيث وصل فيها الدخل السنوي من عائدات التصدير الى ٦٠.٠٠٠ جنيه .

علق الكابتن روكبي ، أثناء زيارته لعطبرة عام ١٨٧١ ، على الجهد الهائل الذي بذله ممتاز باشا في تنفيذ سياسته في شرق السودان . ومن ملاحظاته " أن السلطات فرضت زراعة القطن على المواطنين فرضاً في نفس الوقت الذي منعتهم فيه زراعة الذرة . لم يدرك ممتاز انه لا يستطيع فرض زراعة القطن على البجا ، لذلك كتب الفشل لمجهوداته في كل مكان ، عدا منطقة طوكر التي استعان فيها بالجيش والسجناء .

خلف ويرنر مونزقار ، السويسري ، أحمد ممتاز كحاكم لشرق السودان . كان هذا شبيهاً بسلفه الا انه كان أقل منه تطلعاً للسياسات الطموحة . لقد افصح لخدوي مصر عن رأيه في تطوير ميناء عقيق بدلاً عن سواكن وربطها بكسلا عن طريق خط حديدي يمر بمامان ، هذا رغم الرقعة الزراعية المحدودة هذا العام (١٨٧٣) في طوكر . من رأيه أن ذلك سوف يجعل منها مركزاً تجارياً وسياسياً لجميع المنطقة الواقعة بين عطبرة والبحر الأحمر . تجاهل اسماعيل رأى مونزقار كما كان يفعل مع ممتاز ، وبدلاً عن ذلك أرسل قوات الى طوكر وهجرت هذه القوات المدينة لان الإقامة بها لم تعجبهم . لذلك كان لابد من استدعاء قوات سودانية من مصوع لتشرف على حمايتها ، ثم استعان مرة أخرى بالسجناء المكبلين بالاعلال لتطوير زراعة القطن بها . بعد ذلك بدأ الخديوي يولي اهتمامه لقضايا أكثر أهمية له . المشاريع الناجحة التي أنشأها وطورها ممتاز باشا ومونزقار هي زراعة القطن في طوكر والقاش وبناء محلج وغلاية ضخمة بسواكن ومجموعة كبيرة من الماكينات التي دفن نصفها في الرمال بين طوكر وترنكتات .

ظلت كسلا منذ انشائها عام ١٨٤٠ وحتى عام ١٨٦٠ نقطة عسكرية ، ولكن أهميتها بدأت تتزايد يوماً بعد يوم وبالذات بعد طموحات الخديوي في الحبشة . احتل مونزقار عام ١٨٧٢ كرن ومنطقة البقوس وكوفى لذلك بترقيته كحاكم عام . ولكن المصريون لم يستطيعوا التقدم أكثر من ذلك حتى هزموا في قونديت عام ١٨٧٥ (في هذه المعركة لقي دقلل البني عامر حتفه) . ثم منيوا بهزيمة اكبر في قودا في العام التالي عندما حاولوا استعادة بعض المواقع . وفي نفس الوقت قتل مونزقار على يد الدباكل في الساحل . وبموته طويت صفحة طموحات اسماعيل في الحبشة وبالتالي التوسع المصري في أفريقيا .

الفصل العاشر

المهدية وإعادة الاحتلال (١٨٨١ - ١٩٠٠)

تخضبت رمال الصحراء باللون الأحمر
بسبب دم المريع الذي نمر
وثب قارنغ ومات الكولونيل
وعمت عيون الجيش بالغبار والدخان

سيرهزى نيوبولت

أعلن محمد أحمد المهدي دعوته المقدسة لأول مرة في مايو عام ١٨٨١ . وبعد عامين فقط استطاع أن يحقق أكبر انجازاته وهي احتلال الابيض . ظل شرق السودان خلال هذين العامين هادئاً وخالياً من أى نوع من الاضطرابات . وظل البجا ، كما كانوا في الماضي ، منعزلين وبعيدين عن أى عصبية دينية وما كان لهم أن يثوروا لولا أن ظهرت في المسرح شخصية فذة مقتدرة أفرزتها الممارسات الاستغلالية للسلطات المصرية .

الهندوة بصفة رئيسية ، هم الذين يقع عليهم العبء في ترحيل البضائع الحكومية والتجارية من بربر وكسلا من جهة وسواكن من جهة أخرى . كانوا يقومون بترحيل وتخزين المعدات المرسلة الى هكس باشا عام ١٨٨٣ عبر طريق سواكن - بربر بواقع ٧ دولارات لحمولة الجمل الواحد . أوصل الهندوة المعدات الى المكان المتفق عليه ودفعت الحكومة المبلغ بكامله . غير أن الهندوة لم يدفع لهم غير دولار واحد لكل جمل عكس ما كان متفق عليه . كتب بهذا الخصوص غريون الى إفيلين بارينغ عام ١٨٨٤ " ربما اندلعت ثورة البجا بسبب جشع ولصوصية رشيد باشا وابراهيم بيه " .

ظهر عثمان دقنة في ذلك الوقت الذي شعرت فيها القبيلة بطعنة في عزتها . ومما عزز موقفه أنه جاء يحمل رسالة من المهدي يدعو فيها للانتفاضة ضد الأتراك ووجدت دعوته هذه اذنا صاغية . ولد عدم الايفاء بالعهد والمعاملة الغير كريمة من الأتراك شعوراً عارماً بالسخط وعدم الرضا وسط البجا . وما كان لدعوة المهدي ان تجد قبولا في شرق السودان

لولا ظهور مثل هذه الفرصة ، لان البجا ، بطبيعة الحال ، اقل تدمناً وأكثر ميلاً للنهب والسلب وحتى عثمان دقنه نفسه لم يتمتع بروح القيادة . كان عثمان دقنه ينتمى الى اسرة كردية هاجرت الى السودان من ديار بكر واستقرت فى سواكن لفترة طويلة حيث تزوج والده من البشاراياب (هدنوة) . فشل عثمان دقنه كتاجر ومتعهد للرقيق وكبائع للماء . استقر به المقام فى السنوات الأولى للمهدية ببربر لان اهله فى سواكن ضاقوا به ذرعاً . التقى عثمان دقنه بالمهدى عام ١٨٨٢ مباشرة بعد سقوط الابيض . وبعد شهر من ذلك اللقاء عاد الى شرق السودان بلقب امير وينكليف من المهدى لاثارة القبائل ضد الاتراك .

اصبح عثمان دقنه منذ ذلك الحين وللسنين التالية من أذكى أمراء المهدية رغم انه لم يحظ بالموقع الذى يليق به . لم يكن عثمان دقنه محبوباً وسط أهله وكان يفتقد الى الصفات القيادية التى تتطلب لها القبائل البجاوية المحاربة علاوة لإفتقاده الى الكرم والشجاعة ودمائة الاخلاق وروح الفكاهة ، حتى وان كان ذلك بمفهوم . وعلى العكس تماماً فكان يتصف بالانانية والفضاعة ولم يشارك بصورة نشطة فى أى موقعة بعد أول مواجهة مباشرة له مع العدو فى سنكات . بل كان يتمتع بملكة غريبة يستطيع معها الانسحاب من المعركة فى الوقت المناسب . وشهرته فى الخيانة وسوء المعاملة لازالت عالقة بالأدهان ووصفه وايلد فقال " كان سكوتا ونكد المزاج " . رغم كل ذلك فهو يتمتع بموهبة قيادية لايمكن تفسيرها اضافة لمقدرته الفائقة فى الحداق والافئاع . لعل هذه الصفات . علاوة على الحصافة والاصرار الشديد لتحقيق الهدف ، ساعدته فى تكوين جيش قوى . كان الوحيد الذى استطاع ان يصمد بضراوة شديدة ضد جيوش اكفا منه عدة وعتاداً . كان على علم تام بعدم شعبيته ، ولذلك يقول فى بعض المناسبات " انهم يتبعونى لانى املاً بطوبهم ، هم ليسوا قوم عقيدة ولكنهم قوم معاش " . والحق يقال انه كان اكثر امراء المهدية اهتماماً بقضايا الجيش وتمويله . فمثلاً نرى ان بيت المال فى عفافيت (طوكر) كان يحتوى على ١٢٢ عبداً و ١٢ر٥٨٥ رأس من الماشية والجمال و ١ر٠٠٠ طن من الحبوب و ٦١٧ ر٨٥ دولاراً كلها كانت تحت تصرف قواته . جمعت هذه الكميات فى فترة الثلاثة عشر شهر التى امتدت من مايو ١٨٨٩ الى مايو ١٨٩٠ والتي كان عثمان دقنه فيها فى أدنى مستوى عسكرى له .

هذه هي شخصية عثمان دقنة كان قصير القامة ، متواضع المكانة انعزالياً وغير
مقدام ظهرت هذه الشخصية على المسرح السياسى فى البحر الأحمر فى نهاية يوليو
١٨٨٢ حاملة لواء الثورة ضد الحكومة ، ومما زاد من فرص نجاحه عملية الخداع والغش
لذا ان عومل بهما الهندوة اثناء ترحيل معدات هكس باشا ، اضافة للتأييد الذى وجده
كممثل للمهدى من الشيخ طه مجدوب الذى كان يمثل رمزاً دينياً هاماً فى المنطقة . رغم
ذلك لم يستطع ، فى بداية امره ، من تجنيد اكثر من ١٥٠٠ شخص استطاع ان يهاجم
بهم حامية الحكومة بسنكات . استطاع توفيق بيه ، قائد الحامية الذى جرح فى المعركة ،
ان يصد الهجوم وينسر غالبية المهاجمين . بهذا اعتر توفيق بيه القائد المصرى الوحيد
الذى ابدى شجاعة فائقة فى مواصلة الهجوم على قوات عثمان دقنة فى قباب ، ولو وجد
دعماً كافياً من مرعوسيه لكان بإمكانه القضاء النهائى على هذه الثورة .

ترك عثمان دقنة وحيداً وفر من حوله مؤيدوه بعد هزيمته فى معركتين متتاليتين ولكنه
استطاع ان يستعيد قواه بسبب فشل وعدم مقدرة اعدائه . لم تلتفت السلطات المصرية
بسواكن للبداءات الخاصة بتقوية الجيش ، بل على العكس تماماً حولت كل الامكانيات
والجنود والمؤن لدعم حملة صغيرة ليس لها وزن عسكرى وبالتالي لم يتلق توفيق بيه
التشجيع والدعم اللارمين ، ولم ترسل له غير قوة صغيرة تحركت من كسلا الى سواكن
ولكن الكميلاب قضوا عليها فى خور بركة . ثم ارسلت فى نوفمبر ١٨٨٢ قوة أخرى لنجدة
طوكر ولكن هى الاخرى تم القضاء عليها بواسطة مجموعة صغيرة من البجاويين المسلحين
تسلحياً بسيطاً . حدث ذلك قبل يوم واحد فقط من هزيمة هكس الشنيعة فى كردفان .
تسبب هذا الوضع فى استدعاء قوة من الجنود السودانين المرابطين بمصوع غير انها لم
تدعم الدعم اللازم ولم تزود بكميات كافية من الماء مما قاد الى تدميرها تدميراً كاملاً . ما
كان للمصريين بعد هذه الهزائم المتتالية الا أن يحتتموا خلف حصونهم بسواكن وفى
الجانب الآخر استمد عثمان دقنة قوة جديدة وتقاطر عليه المؤيدون بالذات من الهندوة
الذين انضموا لجيشه ، بل ووصل بهم الحماس درجة اغلقوا معه طريق الامداد من سواكن
الى بربر . كان هذا سبباً رئيسياً ومباشراً فى التعجيل بنهاية غردون فى الخرطوم وما
تبقى معه من القوات المصرية بالسودان .

وصل الجنرال غردون الى الخرطوم فى فبراير عام ١٨٨٤ بتعليمات لاحلاء القوات المصرية . وفى نفس الوقت انزعجت الحكومة المصرية لهزيمة قواتها فى التيب لذلك أرسلوا دعماً عسكرياً لحماية سواكن (كانت الحكومة البريطانية تعارض إرسال تلك القوات بحجة أنها لم تلق تدريباً كافياً) . وتنازلت الضربات على المصريين اذ طوق حصار على طوكر وسواكن وكادت ان تنفذ مؤن توفيق وجنوده بسنكات . استدعى الامر فى هذ المرحلة ان يتحرك (قبل ان يقيم الموقف العسكرى تقييماً صحيحاً) الجنرال بيكر قائد قوات الدعم المصرى الى طوكر عن طريق ترنكتات لفك الحصار المضروب على سنكات . منيت قوات بيكر فى موقعة التيب السابقة بخسارة فادحة حيث ابعد جميع جيشه المؤلف من ٢٥٠٠ رجل على يد الجيش البجاوى الذى لم يتعدى تعداده ١٢٠٠ رجلاً . كانت حصيلة المعركة ان الجنرال بيكر فقد ٢٥٠٠ من رجاله بين قتيل وجريح و ٢٠٠٠ بندقية تركها رجاله فى حالة الفزع الذى حل بهم اثناء فرارهم من المعركة . كان البجا يتسلحون بأسلحة تقليدية كالسيوف والدروع والحراب ، والبعض منهم لم يملك حتى واحدة من تلك ويروى بأنهم استعملوا بجدارة فائقة العصي التى انهالوا بها على أرجل خيول الجيش المصرى .

سقطت سنكات بعد أيام قلائل ، وانسحب توفيق بيه مع بقايا جيشه الذى نفذت مؤنه ولقى حتفه ببسالة بالقرب من الساحل . وقال عنه عثمان دقنة (الذى لم يعرف عنه تمجيد اعدائه) فى رسالة له للمهدى " انه اقدر اشرار علاء الدين واكثرهم شجاعة " .

ولد سقوط سنكات وهزيمة بيكر الشنيعة فى التيب شعوراً بالسخط الشعبى العارم فى انجلترا ، وفى السابق ابدت حكومة الاحرار تنصلاً كاملاً عما يجرى فى السودان وفتوراً بما سمي بحملة غردون السلمية للخرطوم . تحركت الحكومة هذه المرة لتنحاز للشعور القومى العام واتخذت بعض الاجراءات العسكرية التأديبية ضد شرق السودان . بدأت بسرعة فى ارسال حملة غير واضحة الاهداف مما تسبب فى القضاء عليها تماماً . شعرت الحكومة البريطانية مرة أخرى بطعنة فى شرفها وفى محاولة لتدارك الموقف ارسلت فى مارس الجنرال غراهام الى سواكن على رأس جيش مكون من ٤٠٠٠ جندي بريطانى .

حاول غراهام ان ينقذ طوكر ولكنه علم عند وصوله الى ترنكتات ان جنود الحامية هناك استسلموا . نصح كل من غردون وبيرنغ بعدم اتخاذ اجراءات أخرى ، ولكن الحكومة التى

كانت تخشى من سحق الناهخين أمرت غراهام التقدم بجيشه . وهكذا كتب لرمال التيب ان تستحضر صدى البنادق والمدافع مرة أخرى ، ولكن هذه المرة بنتائج مغايرة . قتل من البجا ١٥٠٠ محارباً مما يدل على كفاءة الاسلحة الحديثة عندما تكون فى أيدي جنود منضبطين يجيدون استعمالها . رغم هذه الخسائر الفادحة الا ان البجا لم يستسلموا بسهولة للقوات الغازية . نقل رويل وصفاً عن المعركة على لسان جندي بريطانى فى قوات ستىوارت « ان المقاومة الحقيقية كانت من البجاويين المسلحين بالرماح حيث كانوا يوجهون رماحهم بدقة متناهية وفى الوقت المناسب نحو الخيول مما يقود الى تعطيلها أو قتلها . اضافة انهم كانوا يستعملون عصي معقوفة من السنط يصيبون بها ركبة الخيل مما يقود الى سقوطها وشل حركتها تماماً » .

لم يتبق لغراهام الكثير بعد ذلك لهذا قرر العودة الى سواكن . اثناء انسحابه قرر ان يمشط المنطقة حول تاماي (ثمانية كليومترات للجنوب الغربى لسواكن) بون ان يتخذ الحذر اللازم . وأثناء مرورهم بتلك المنطقة باغتهم البجاويون ، من خلال الشجيرات التى تغطى تلك المنطقة ، وقضوا على جزء من جيشه فى هجمة بطولية فذة بالسيوف ولم يسترجع غراهام موقفه الا بعد حرب كلفتهم الكثير . الهمت هذه الشجاعة نفراً من الشعراء البريطانيين امثال نيولولت وكبلنغ لينظموا شعراً يشيدون فيه بشجاعة المحارب البجاوى .

استدعيت قوات غراهام فى مايو ١٨٨٢ واستعادت الوزارة البريطانية شيئاً من توازنها بعد تلك الريبة الطارئة التى المت بها . ثم جاءت الكلمة الاخيرة من عثمان دقنة الذى قال فى خطاب له للمهدى " إن الانجليز لم يملكوا طويلاً فى بلادنا لان الله زرع فى قلوبهم الرعب والخوف " . انسحبت هذه الحملة قبل ان تحقق أهدافها وتمثل فشلها الكبير فى عدم قدرتها فى القضاء على عثمان دقنة ، وحتى مبادرات غردون السلمية فى الخرطوم لم يكتب لها النجاح بسبب الاحداث الدامية فى ساحل البحر الأحمر . ولعل النجاح الوحيد المفترض أن تحققه حملة غراهام هو امكانية فتح طريق بربر - سواكن . غير أن هذا المشروع قوبل ، وبسرعة ، برفض شديد والسبب الوحيد وراء ذلك ان الحكومة لم تكن جادة فى سياساتها فى المنطقة وما تتخذه من سياسات أو مواقف لم يكن الا محاولة منها لتفادى النقد الشديد لسياساتها فى مجلس العموم ولم يكن قتلى المعارك بين البريطانيين

(٧٠٠) والبقاويين (٥٠٠٠) الا ثلثنا زهيدا لبقاء قلاستون وحكومته فى السلطة . والجنود الذين حاربوا هذه المعارك بلا هدف مقنع وجبوا ما يعجبهم فى شجاعة واقدام اعدائهم البقاويين اكثر من حكوماتهم ، البريطانية والمصرية ، التى ارسلتهم ليحاربوا من أجلها .

اتصفت الحملات البريطانية الثلاثة التى ارسلت الى السودان ، كما يقول كوسون عام ١٨٨٦ ، بكثير من التشابه والتماثل ، فجميعها ارسلت فى وقت متأخر لتفادى السخط الشعبى . ولم يتعد دورها الا الإستعراض السياسى لضمان بقاء الحكومة فى السلطة .

ثم توالى الكوارث ، حيث ان الحكومة التى تحركت بسرعة غير معهودة لتتأثر ليكر وتوفيق بيه لم يشغل بالها مصير مبعوثها فى الخرطوم . يرجع ذلك فى أن المستر قلاستون لم يكن فى مقدوره تصور خطورة الموقف . لذلك عندما ارسل حملة الانقاذ الى الخرطوم جاءت متأخرة بحيث انها لم تستطع انقاذ حياة غردون الذى لاقى حتفه على عتبة سلم القصر فى يناير عام ١٨٨٥ . والحكومة البريطانية التى أهينت فى كرامتها لابد وان تتحرك بسرعة ولم تفكر فى حل اخر غير تكرار حملة البحر الاحمر فى عام ١٨٨٤ . عليه ارسل غراهام مرة أخرى الى سواكن وابرم اتفاق مع شركة لوكاس و ايرد لبناء خط حديدى بين سواكن وبربر . لقى هذا الخط بعض الصعوبات ولكن تمكن مده حتى أوتاو ، على بعد ١٨ ميلا من الساحل ثم توقف العمل فيه فى مايو ، أى بعد شهرين ، حيث بلغت تكلفته ٨٥٠.٠٠٠ جنيهأ . خاضت القوات البريطانية فى تلك الاثناء معركتين فى هاشين وتوفريك (تعرف أيضاً بزرية ماكنيل) وانسحبت بعد ذلك من كليهما . فى المعركة الاخيرة كانت كتيبة من القوات البريطانية والهندية تقوم ببناء سور من الشوك حول معسكرها وادا بها تفاجأ بهجمة شرسة من البقاويين . لم تدم المعركة اكثر من ٢٠ دقيقة ولكنها خلفت راعا ١٥٠٠ قتيلأ من البقاويين مقابل ٢٠٠ من القوات البريطانية .

أظهر المحارب البقاوى فى كل هذه المعارك شجاعة وبسالة منقطعة النظير . حتى الجريح المحتضر منهم كان مصدر خطورة لمن يقترب منه . كان النساء والأطفال يحاربون جنبأ لجنب مع الرجال . وشوهد فى المعركة التى خاضها غراهام اطفال دون الثانية عشر وهم يحاربون بضراوة ويتهافون الى خنادق الاعداء حتى يقعوا فيه صرعى واسنانهم مكشرة وايديهم مسمرة على رماحهم . وشوهد فى مشهد اخر طفل بقاوى فى نفس العمر

يقصف الجيش لبريطاني بالحجارة غير مال بوابل الرصاص الموجه اليه . كل ادبيات تلك فترة . رغم انتقادها الشديد والقاس لموقف الحكومة البريطانية فيما يخص حملة سواكن وهدفها لان جميعها ابدت . وبلا استثناء . اعجاباً شديداً بشجاعة العدو الذي كانوا بحربونه . كان الانتحاريون البجاويون الذين يخرقون صفوف الجيش البريطاني ليلاً ليسددوا طعنة قاتلة لجنود الحراسة الليلية ثم يواجهون الموت ببسالة في شتى المعارك . كانوا بمثابة اعجاب وتقدير للجندي البريطاني . وهاهو رديارد كبلنغ شاعر الامبراطورية لبريطانية في مقاطع من قصيدته المشهورة " فيزي ويزي " التي يمجّد فيها المحارب البجاوي :

انه زهرة الديرى . انه جوهرة . انه حمل وديع .

انه قطعة من المطاط المهووس بالانطلاق .

انه الشئ الوحيد الذى لايعطى مثقال ذرة من الاهتمام .

لفرقة المشاة البريطانيين .

كان هنالك تبديد للموارد المادية والبشرية بلا هدف . كما علق تشرشل في كتابه " حرب النهر " أن التهمة الموحية ضد قلايستون وحكومته قاتمة ودامغة وكان أجدى للمؤرخين ان يدعموا هذه الاتهامات بدل ان يرمقوا انفسهم في أيجاد المبررات لها .

رغم حصيلة المعارك التي بلغت ١٠.٠٠٠ قتيلاً فإن عثمان دقنة لم ينته بعد ولم يزل يثير القلاقل بين الحين والآخر في المناطق المحيطة بسواكن . سقطت كسلا بعد حصار طويل في يوليو ١٨٨٥ . وفشل رأس ألولا في نجدها وتحقيق نصر طالما ترقبه ضد قوات الدراويش في كوفيت .

وفي الجانب الآخر فإن الخسائر التي منيت بها القبائل المحاربة بجانب عثمان دقنة كانت فادحة أيضاً لدرجة انها كبحت من حماسهم للانخراط من جديد في جيشه . وكان ذلك سبباً مباشراً في اضعاف قواه القتالية في الميدان . كانت غالبية قوات عثمان دقنة من الهدندوة وبعض بشاريى عطبرة ومجموعات متعددة من الأتمن والأمرار وبعض قبائل طوكر مثل الحسناى والاشراف والكميلاب . من الان فصاعداً هجره كثير من جنوده غير قله

متعصبة له . لهذا فإن عثمان دقنة أصبح يعتمد أكثر فأكثر على البقارة و لقبائل الدهرية الأخرى التى مارسست عنفا غير محدود فى المنطقة مما اكسبها كراهية ، لقبائل ، البجاوية .

وكان الامرأر هم أول من تأثر بذلك العنف . وفى فترة المهدية وجدت القبلة نفسها . بحكم موقعها الجغرافى ، بين نارين حاولت جاهدة أن توفق بينهما ولكن دون جدوى . لم يعجب هذا الموقف عثمان دقنة حيث قام بإعدام ناظرهم الشيخ حامد محمود عام ١٨٨٦ ومعه شيخ النوراب . وخطأ عثمان دقنة التقدير فإنه أن قصد بهذه الجريمة تخويف لقبيله فإنه فعلته هذه لم تزدهم إلابعداً ونفوراً . وبدأ الامرأر شن هجمات ناجحة صد موافع عثمان دقنة استطاعوا فيها الاستيلاء على تأماي واستولوا فيها على سبعة عشر مدفع .

وفى نفس الاثناء بدأ عثمان دقنة يفقد دعم ومساندة الجمبلاب (هندنوة) الذين كانوا يمثلون قوة قتالية لا يستهان بها ، ثم الاشراف فى وقت لاحق . وحتى تلك القبائل التى لم تظهر أى عداا سافر له رفضت مشاركته فى أى حرب فى المستقبل . كل ذلك ضعف جيشه لدرجة أن الخليفة اضطر أن يرسل له الدنقلاوى الامير ابوقرجة على رأس جيش كبير من البقارة لنصرته . ولم يزد هذا الاجراء الامور إلا سوءاً إذ أن الاميرين اصبحا يتشاجران فيما بينهما والقبائل البجاوية التى رفضت تدخل الغرباء فى شئونها اصبحت تحتذى بالجمال . بدأت المصادمات تجد سبيلها بين البقارة والهندنوة وأظهرت الاحيرة فيها تفوقاً ملحوظاً ادت هذه المصادمات التى شئ اشبه بالحرب الأهلية . رغم كل ذلك فإن قوات عثمان دقنة كانت ترابط حول سواكن ، وفى عام ١٨٨٨ بدأت هذه القو . تستعيد بعض قواها . ومن الآن فصاعداً بدأ الحصار يتزايد على سواكن يوما بعد يوم رغم فشل الكولونيل كيتشنر فى اسر عثمان دقنة فى هندوب .

قوة عثمان دقنة وموقفه الجديد كانا يعزيان لاسباب عدة منها أن اسمه ارتبط داخل وخارج سواكن بالرعب والخوف ثم أن الهندنوة والامرأر ، رغم أنهم اقساموا فيما بينهم لتوحيد صفوفهم ضده إلا أنهم انشغلوا بخلافاتهم ومشاكلهم الداخلية . اضعف الى ذلك أن عثمان دقنة كان يتحكم فى جيش لا يستهان به من البقارة وأن طوكر التى كان يسيطر عليها كانت تمدده بما يحتاج اليه من الغذاء . ثم أن السلطات فى سواكن كانت تشجع تجارة الحبوب بحيث أن كميات كبيرة من الحبوب كانت تجد طريقها الى الدراوش من



مواضع معارك البحر الأحمر من الفترة ١٨٨٣ الى ١٨٩١.

دعم موقفهم الغذانى . امتد نشاط عثمان دقنة الى بعض المرافئ فى شمال بورتسودان لجلب بعض المؤن من الحجاز . ساعد ذلك فى نمو تجارة رابحة لم تتوقف الا بعد انشاء نقطة حكومية فى محمد قول . جلب السردار غرينفيل فى ديسمبر ١٨٨٨ قوات من مصر لرفع الحصار المضروب على سواكن . لم يخضع ذلك الامير الذى كان لازال يحتل بعض النقاط فى الصحراء مثل ارياب وابويوم . وفى ابريل عام ١٨٨٩ حقق بعض الانتصارات فى هجومه على ميناء حلايب البشارية بالقرب من الحدود المصرية . غير أن قواته طردت من هنالك فى موقعه ميسه ، وإن بشاري عيتباى كانوا بعيدين عن تأثير المهديّة عكس اخوانهم على نهر عطبرة الذين تأثروا بها تأثراً كبيراً وفى هذا يروى كامبيرون - القنصل البريطانى بسواكن - كيف ان المهديّة غيرت موازين القوى القبلية فى المنطقة " لقد افرغت المناطق الجبلية من سكانها وزعزعت سلطات شيوخ القبائل لدرجة ان هذه السلطات اصبحت فى ايدى شيوخ غير اكفاء ومن الدرجة الثانية . . وفى المقابل فإن القبائل التى ابتعدت عن الحرب اصبحت أقوى من ذى قبل " . وفى حقيقة الامر أن تأثير المهديّة كان أقصر عمراً مما كان متوقعاً . من الصحيح ان الميزان القبلى للأمراء والبشاريين قد تأثر لبعض الوقت ، ولكن الهدندوة رغم خسائرهم الفادحة ، الا أنهم استطاعوا ان يستعيدوا قواهم واصبحوا أقوىاء مثل ماكانوا فى الماضى .

بدأت دولة الدراويش فى التقهقر ، وفى عام ١٨٩١ خاض عثمان دقنة معركته الاخيرة دفاعاً عن طوكر ولكنه هزم وكانت خسائره ٧٠٠ قتيل . الجدير بالذكر أن أميراً واحداً فقط من المواطنين المحليين قتل من مجموعة السبعة عشر أمير الذين لاقوا حتفهم فى تلك المعركة .

من الان فصاعداً عاش عثمان دقنة حياة لاتليق به لانه بدأ يغير من أجل الذرة والماشية من قاعدته فى أداراما على نهر عطبرة . فى عام ١٨٩٤ استولى الايطاليون على كسلا بعد صدهم لمحاولات عدة من البريطانيين لاحتلالها . ولكنهم هزموا فى نهاية الامر وسقطت المدينة أخيراً عام ١٨٩٧ فى أيدي القوات المصرية - البريطانية . اضافة لذلك فإن هزيمتهم فى أدوا فى العام الماضى قضت على طموحاتهم الاستعمارية على الاقل فى الوقت الحاضر . وفى نفس الاثناء أى عام ١٨٩٦ ، تمت اعادة احتلال دنقلا مرة أخرى ،

ومن هنا شهد عام ١٨٩٨ الزحف الاخير ، شارك عثمان دقنة مع بعض الهدندوة والبشاريين فى معركة عطبرة التى هزم وأسر فيها الامير محمود ولكنه استطاع ان يهرب حتى قبل بدء المعركة .

كانت موقعة امدرمان فى سبتمبر ١٨٩٨ هى المعركة الحاسمة لتقرير مصير السودان . إنها لم تكن معركة بالمعنى الدقيق للكلمة ، بل كانت مجزرة تفوقت فيها الاسحلة الحديثة المتطورة على الشجاعة المتهورة . التحم الجيشان بعد أن فاجأ الانصار فرقة لانسر الحادية عشر كما فوجئ قبل اربعة عشر عام جيش غراهام فى تآمى . غالبية الدراويش الذين سقطوا فى خور شمبات كانوا بجاويين من جيش عثمان دقنه . لآخر مرة فى التاريخ يواجه محاربو تلال البحر الأحمر حملة السيوف وطأة الفرسان . ولا بد لنا أن نستشهد عن بلانهم الحسن فى تلك المعركة بشهادة واحد من الذين شاركوا فى المعركة ، كما وردت فى كتاب تشوشل " حرب النهر " .

كانت الخيول تعدوا مسرعة فى السهول والفرسان المسمرون على ظهورها يتمايلون يمنا ويسره وكست أجسادهم الدماء . ربما من جروح عدة ، والخيول أيضاً كانت مدرجة بالدماء بسبب اصابات مروعة ثم تقع هاوية بفرسانها . وفى ١٢٠ ثانية فقط سقط خمسة من الضباط و ٦٥ جندياً و ١١٩ فرساً من مجموع ٤٠٠ فرس .

ومنذ عام ١٨٩١ عادت الحياة الطبيعية الى شرق السودان ، وبدأت مظاهر السلم تأخذ سبيلها فى شتى دورب الحياة . فتحت مدينة سواكن للتجارة وأصبح طريق بربر آمناً وزرعت مساحات شاسعة فى دلتا طوكر بالقطن . عانى البجاويون الامرين أيام حكم الدراويش ، سيان إن كانوا مؤيدين أو معارضين له . تضاعلت اعداد الهدندوة ، اكثر القبائل التى ناصرت الدراويش ، بسبب المجاعة والحرب والمرض ، ورغم ذلك فهم استطاعوا ان يفرضوا هيمنتهم على القاش ونصف المنطقة الواقعة على نهر عطبرة . وفى الجانب الاخر كان الامرأر فى حالة من التفرقة والشتات الا الفاضلاب الذين بقوا وحدهم متماسكين . توسعت الهوة بين بشاريى عطبرة وعيتباى والبنو عامر الذين خضعوا للحماية الجزئية للاحباش والايطاليين عانوا ، كغيرهم ، من الخسائر اضافة على الفوضى القبلية . ولكن القبائل الصغيرة منهم مثل الملهيتكناب والحرمان كانوا أن ينقضوا . قتل الآلاف

بسبب الحرب ضد البريطانيين أو لاقوا حتفهم على يد الدراويش الذين حاربوا بلا هوادة كل من وقف ضدهم أو لم يبد ولائاً لهم ، غير أن أعداداً أكبر من تلك ماتت بسبب المجاعة التي اجتاحت المنطقة ولاسيما في عام ١٨٨٧ . بقى على قيد الحياة عدد قليل من شيوخ القبائل العظام لان سياسة الخليفة استدعت التخلص منهم . لذلك ساد جميع اراضى البجا شعور بالكراهية للحرب مقرون بخيبة أمل لما آلت اليه الامور فى المنطقة .

قوبلت التركية الحديثة باستحسان غير متوقع . كل ما بقى فى الساحة هو شخصية عثمان دقنة الذى كان يهرب بصورة متعمدة ، من ساحات القتال فى امدرمان وام ديبىكرات ، وحيثما حل قوبل بعناية واهتمام ربما لم يكن أهل لهما . لقد مضت الايام التى كان يستنفر فيها القبائل البجاوية ، غير أنه فضل ان يحتفى بهم بعد هزيمة الانصار وموت الخليفة بام ديبىكرات عام ١٨٨٩ . لقد لاذ بالفرار الى جبل وينزبا محتمياً بالجميلاب (هدندوة) الذين انفضوا من حوله ووصلت كراهيتهم له بأنهم ساعدوا فى اعتقاله من قبل السلطات . نفى آخر أمراء المهديّة الى مصر ثم الى حلفا ليقضى بقية ايامه فى حس انفرادى مشرف الى ان ادركته المنية عام ١٩٢٦ . هذه الشخصية العظيمة والغامضة كادت ان تمحى من ذاكرة تلك القبائل التى تزعمها لفترة من الزمان ، غير أن اعلان وفاته عام ١٩٢٦ قاد فى إجتماع قبلى كبير ، كما روى الحاكم العام لمنطقة البجا ، « الى شعور عميق كما لو كان القيصر قد مات فى مرتفعات هذه القرية النائية » .

اختلفت حدود شرق السودان فى فترة اعادة الاحتلال عن تلك التى رسمت أيام الحكم التركى المصرى . فمثلاً ردت محافظة البقوس ، التى استولى عليها الخديوى اسماعيل ، الى اثيوبيا كثمان لمساعدتهم فى طرد القوات المصرية الحدودية ولكنها لم تضم لسيطرة ايطاليا التى ، رغم هزيمتها فى ادووا عام ١٨٩٦ ، ظلت محتلة لاريتريا ومسيطرة للمثلث الساحلى شمال سيتيت . الحق هذا التقسيم الجديد جزءاً كبيراً من قبائل البجا الجنوبية باريتريا وشمل ذلك ثلثى قبائل البنى عامر وظل الجزء المتبقى منقسماً على نفسه ، مجموعة منهم يعيشون بالقرب من كسلا والجزء الاخر فى تلال البحر الاحمر جنوب خور بركة .

الفصل الحادي عشر

التاريخ الحديث (١٩٠٠ - ١٩٥٠)

كتب هذا الفصل عن وسائل التنمية الحديثة وسط النجا وعن مدى استجابتهم وتفاعهم مع هذه الوسائل. سيطر بصورة . نظمة لحال . غير مكتملة لان فترة النصف قرن الماضية على مرر. على حكم لها تعتبر فترة قصيرة لدرجة بعصبت معها الحكم النهائي وعلى لحساب لآخر وجود حكومة مستقرة تفرض الأمن والقبول وفي نفس الوقت تولى هممة خاصة لقضاءهم لاند وان يحلف في نفوسهم ثراً طيباً . مما لاشت فيه ان النجا سيقاوا كثير من ردت الحكم لى وقرلهم مياه لتترب و تعليم والعلاج . فصلا على ان الارادة ساهبت . لى حد ما . هي رفع مستوى المعيشة وذلك بتشجيعها لتجارة الدوم وبوسعيها في رر عه الفضل في طوكرك والفاش ومساهمته في تقليل المصادمات القبلية ثم ان مدعه و مدعون كانا من المشكل انى كتب نهدد حياة النجاوى في الماضي ولكيه لان من مساهمة بسبب توهير لعداء و لعديه اللارمين للمصيرين منهما .

ويطلب لحكومة من الموحدين مقبل ذلك ليعود معها لارساء قواعد لقبول والنظام وذلك بالمساهمة برفع لصرايب المفروضة عليهم . وفي حقيقة الامر نجاح حكومة . لى كان نوعها . يتوقف على نجاحها و فشلها في بسط قواعد القانون والنظام . رغم ان الحكومة فصفت شوطاً لانس به في القضاء على الجرثم . لكثرة مثل لمصادمات الدموية والسلب و نهبت لان الحرثم القردة مثل الفمر والشجار بالسيف لم تحلف بعد . مثلاً حتى عام ١٩٥١ كان بالامكان مشاهدة صراح مثل هذه الحرائم حيث ان واحداً من رجال الشرطة المسلحين حاول ان يعترض ستة من لهددوة سبين كانوا يعبرون على انقار السبي عامر وقرن في تلك المواجهة لشرطى اسى صبت ستر حرج في مواضع مختلفة في جسمه م بخصوص لصرايب قبل جمعها كان بحدج اسى كثير من لجهود والعمر الدؤوب

مست لحكومة جهد مفرراً في مجال تعليم غير ان لعدند لم يكن بالسوى المتوقع لم يحلف على لىا فوجد لصب حديث غير انهم سطورون له بكثير من لتك والريبة

وفصلون بدلاً عنه اللحو. الى بصوص القران والكي بالدر. لذلك كان من الصعوبة بمكان
إفهامهم بالقفا. هي المستشفى لتلقى علاج أو حصوعهم لعلية حرجية بسطة قد سدهم
لدى الحياة من مرض عصا مؤلم. وحتى في مجال علاج حيواناتهم لم يدركوا. همته
لادوية العلاجية والوقائية لانهم كانوا يفصلون وسائل علاجية أخرى ولصوره لدليله روات
شاهد عيان لجمل يقوم صاحبه بعلاجه :

حر الرجل لسان الحمل الى الخارج تم بطفه بصورة حسنة وفحاه سل برجل سكينه
وبدا يقصد لحر. الاسفل من السمان حتى سالت منه كميت عريضة من الماء. وسهر
لعمله بان دفع الرجل بكمية كبيرة من روث الحمار في هم لحمل.

أبصاراً كان البحاوي يواحه احفاقات كثيرة هي محال الرزعه رعم السحبيج لدوب سكت
من قبل الحكومة كذلك لم يعبر من كرهية للزراعة المتظمة لم يكن همه هي براعه
هم ذلك المراع السسط الذي يولى اهتماماً خاصاً بأرضه شئ يعبر مصدر رزقه بل كان
همه الاول والاخير هو لربح السريع الذي يحويه من سلعه نفدية تجلب عنه عائد مادي
سريع يسري به بعض الحيوانات وينفق ما تبقى منه سريعاً

لم يكن هناك. ولكناة هذه لسطور. أمل كبير في ان يعبر سحاوي وان يهزم
لوسائل لتنمية لحدثه يرجع السبب في ذلك أنه لم يعبر شحصب ولم يعبر لوسيط
لدى يعيش فيه فهو لارال بجوب الصحرا. ولقي في كالأرب الوحسي او كحمار الوحش
كما كان يفعل منذ مئات السنين وقد يستمر على هذا الموال لسنين أخرى فادمه وبه
من لاجدى الان عدم محاولة تغيير نمط حياته. ولادريون الذين سدون قصارى جهدهم
في تحسين مستوى معيشته البسيط. عليهم ان يقنعوا بأن هذه السياسة سوف تبنى
ثمارها المطلوبة ومن لافضل ان يتركوه وشأنه.

لم يسمع كثيراً عن ليج في فترة لعشرين عام الاولى للحكم لناسي ربح لأنه لم
يكن هناك ما يجبر ذكره. لاند من الاعتراف بأن المنطقة دخلت في طي نكماش لان
إدارتها كانت اسميه لدرجة أنها اصبحت مسية وان أحد تم يهزم بها

كانت الحكومة الجديدة مشغولة بالإشراف على رفعة واسعة ومع تطور الأساليب
الإدارية لجديدة لاند من اعطاء الاولوية لمناطق أكثر دحلاً وساحاً ولأناس يسهل توصوا

منه ، ثم بعد ذلك من سكن بحر الأحمر لا يعرف ليس البدائيين . لا يتوقع المرء كثيراً من عدم الاتصال . حتى نعجم ولا يعرف الكثير عن طبعهم وعاداتهم وأديانهم وسفروهم من السلطة كأنها الطاعون .

ثم تمكن من تسليحه ولم يدفعوا صريفة منى ما كان ذلك ممكناً لذا عاشوا في
الصحراء في كل الرصد عن حينهم الطليقة ، واستمروا في حروبهم وخلافاتهم
التي لم تنته ، لكنهم لم يفلحوا في نفوس الأديين تعديتوا على إدارة
عناصيرهم ويحصدوا لحدال كان تواجد لسلطات لادارية أكثر حضوراً في المناطق الساحلية
منى منهم الأديان ف عليهم من سواكن عاصمة محافظة البحر الأحمر . ومن ههناك اشنت
الحكومة عدداً من البعثات لبحري في طوكر وعقيق ومحمد قول وحلايب . من المفترض أن يتم
الاستمرار على مشاريع عساي من حلايب ولكنهم كانوا ينقلون بين محافظتي البحر
الأحمر وسور ولم يحقوا بمحافظة البحر الأحمر نهياً الا في عام ١٩٢٣ .

بعد اعادة القطر لأول مرة في طوكو عام ١٨١٩ . أى بعد اعادة الاحتلال . لذلك
غضب الحكومة بحوث . ٢٠ فدان ولكن لمنطقه لم تشهد تنمية جديه الى في ١٩٠٥
١٩٠٦ حيث بلغ الرقعة للزراعة ٥٠ ألف فدان . وفى الظروف العادية تراوحت الرقعة
من ١٥٠٠٠ الى ١٢٠٠٠٠ فدان وذلك بسبب التفاوت السوى فى كمية
الماء الى حسب جود بركة الهد كان من الصعب على مثل هذه الظروف وضع برنامج
يسوى نسب . كما ان بئر الحدوى ذلك الشخص المقصود الذى تتعدى بطرته اللحظة
لقد صوره ذلك ما رجع رحله من طوكو ما بين الرفاهية الميسرة والعقر المدقع

سلك التصويب لخصه في إدارة سحا في أن المنطقة خضعت لحود جغرافية وهمية
في بعض الأحيان ، و نفسه في حدة ولكن فصلت حتى بين العشيرة الواحدة . فمثلاً نجد أن
عائده لأمر كيو يحصون لإدارة محافظة بحر الأحمر ، في حين أن بشاربي عيسى
، وعنده حصوه ، لسبب محافظته بربر وفي الحاشية آخر من الهندوة وليسى عمر
كبه متقسمين تاريخاً بين محافظتي البحر الأحمر وكسلا لذلك كان من السهولة بمكان
شهرت عن ، مع الصرايب صافيه لذلك فإن طرق جمع الصرائب كانت تختلف من
محافظته لأخرى كما كان الحال بين محافظتي البحر الأحمر وكسلا . وهذا بدوره كان

كعب الحق كنز من مشرق و لغوصى لغوصى مهد جهنم و تصور داسة بوضوح
واحد من الذين ارتبطوا بجمع الضرائب .

لقد باثرت بوحدة فضيلة : نعيم على سلسلي ، من فخر و أصبح بها حسن ترسيخ
للدولة و بعهده سدر هو لانس ، لا يستطير ، و بغيره نفع في حكمة و انشائي صحيح جمع
الضرائب كابوساً مؤرقاً .

مدرست خانه عدد برضا بپرد من بر من ، غرض از اینست که این مهم سی بخیر نگردد می
باید گفت که در این مصیبت حمد محمود (۱۹۰۶) با صبر و عزم و اصرار خف نوا شده و این عدمه
خف نوا شده است. اما این مصیبت را هم معرجه تفصیلات و تفصیلات معاصر من است
و می عام ۱۹۱۹ است بعضی از این باردار است. اما بعد از این مجموعه صغیر
من اینست که محمود و محمود من عرب شریف اقامت خانی کسلا این مصم حور
مصر است. این مصم است. اما بعد از این مصم است. اما بعد از این مصم است. اما بعد از این مصم است.
خبر بعد از این مصم است. اما بعد از این مصم است. اما بعد از این مصم است. اما بعد از این مصم است.
لازمی و می عدم بفرستیم که این مصم است. اما بعد از این مصم است. اما بعد از این مصم است.
لوصول بهم من بفرستیم که این مصم است. اما بعد از این مصم است. اما بعد از این مصم است.

لم يحدث الكثير تحسين في المنطقة وذلك لسفك المربع في الكور و لمؤيد
لديه ومعارك الامور بعدا هو حاد في سد بين محافظة البحر الاحمر والمحافظة
الاحرى على ان ارد لحد . وفي عام ١٩٢٦ علق حكم نصفه الذي نقل سود من كره
عن نصفه ليكون على وقف النظم الداخلي لها . عزى ذلك الى الصيغة الاربعة
لمسعة مما يحرم عنه اصناف للحكومة وبالتالي سيجاله جميع الحسرات قد يكون
لا يرى المذكور محققا تحت رعايته . غير انه قد تحقق لمبدأه . لأول وهنه . بالمس
لاخبارات وبذلك متوصفة منها ولكن للصورة بدأت تصبح بعد عشرين عاما ولكن
السابع المرحوة من ايداره سح . زعم المحاولات الحادة . لم تنجح بالصورة المرصيه وذلك
لاستحاله فرض سلطة القانون لشدت من التجمعات القبلية

كان هيثب افرار بليقر لوجه عام ١٩٢٦ لسياسة "تقسيم" لبلق في المصحف "نفـ"
تبعث سياسة صحفية لتقسيم و"تحرره" هدفها الرئيسي "فـ" بقدرى "الاحكام" لقيسـ

وحسين مستوى جمع لصراحت رغم الفشل الذي منيت بها كلها ، المستعصية الا أن محاولات جادة قد سبقت في ١٩٢٣ - ١٩٢٤ لتحقيق أعلى قدر من القرامط والتمسك القلبي ولا سيما بعد إيقاف أي نفوذ داري لمحافظة بربر في شئون البحا لم يقص ذلك على كل أصناف لحرره لقضية حيث - شارسي عيتباي لحقوا بمحافظة البحر الأحمر في حين أن شارسي عصيرة صمو - سي كسلا . وظل الهددوة يُطعماً متفهمين بين المحافظين لم يخط الأمر لكامل لشركة كسلا للفصل لمرعاة العطن في دلتا القاش الا في عام ١٩٢٤ - ١٩٢٥ . ولهددوة ضد قومهم للعث في القرن الثامن عشر لم يساورهم الشك في أن القاش ملك خاص بهم يلحون لياحه العزيمة ولعشه العنى هي ماصافت بهم المسيل . إضافة أن المنطقة تنتج حود أنواع الصوب حيث يرمدل الفائض منها الى الساحل ومن ثم الى الحجار هذا المحزون الرعوى والراعى الهائل للقاش جعل لهددوة ينظرون بالرسة والمثك الى الشركة الاجنبية التي تحاول التدخل في شئون اكثر الماصوق لهددوة ولتحويل مهاد القاش الى رراعة لقطر . تلك السلعة لكن لم يد البحا نحوف أي حائل يذكر .

وفي عام ١٩٢٤ وصلت الرقعة الزراعية التي استولتها الشركة في القاش حوالي ٩٠٠٠ فدان وبعد ثلاثة اعوام . أي عام ١٩٢٧ ارتفعت هذه الرقعة الى ٢٦٠٠٠ فدان لم يكن لصالح لهذا المشروع رغم التوسع الافقى فيه والمصيب في ذلك الفخار الواضح بين النظرية التجارية والحقوق لقلية للهددوة والذي تمثل في فقدتهم لثالث الدرة والرعى وأهم من ذلك الحد من حركتهم وترحال حقوباتهم في ارضي بعثروها ملكاً خالصاً لهم لذلك هم يكر في الامكان احتواء هذا التعارض في المصالح مما أدى في النهاية الى خلافات طويلة حاولت معها سلطات المحافظة أن تمسك العصا بالوسط ولكن بدون جدوى . تدهلت الحكومة في النهاية الى نتيجة بلل الهددوة غير مفهوسين وفي نفس الوقت غير راضين في العمل وهذا بدوره جعلها تستهمل مزارعين من وادي النيل . لم يرد هذا الاهراء الامور الا تعقيداً لأن الهددوة الرافضين لادارة القطر بالهددوة هم يحتلو تقسيم ارض القبلة للاغراب وبالتالي بدأوا يلجئون الى تخويف وإرهاب المزارعين الوافدين واستفصال العنف وحتى القتل أحياناً .

تونس لاحول من سى الى سوا معا ترى تدخل الحكومة عام ١٩٢٩ ولى سحب
 لامبار من اشركه وبعضه دار صى راعة فى الحرية بولت الحكومة هذه المرة
 لاشرف المشرك على المشروع مدفعته سلك على اهداه لبحارية وفى نفس الوقت حده
 فى الاعتراف لحقوق مسرعيه لتهدسوه فى الارض الامر الذى قسملت شركه فى
 موارينه رعم لحلفه بر راعة بغيره سلك (وناسات الهدسوه) الا ان ٧٠ من لار صى
 لرراعه خصصت لهم لان وبعد عشرين عام من شرف إدارة القاش على ر راعة
 لمشروع بحد ان سلك لايسمحون بمر فصل راعة القش عليهم . نهم يعلمون حسب
 بولاهه لبحره لأصبحوا ليوم كثر دمر ونحلفاً مدهم عليه لان كما ظهرت البحره
 بان السك لايمكن تصيغهم على نهم مر رعم من المربيه الأولى الا انهم سوا مروه كسره
 فى لدهم لبحروف لدهه ومن هـ المطلق بحث النظر الى المشروع بحدته سده
 محاولة لتوفيق من العسر التجارى مريج والمصالح القبله التى بحد عدم تحويره
 بوضع لبحول لى الربيه المصغره سلك فى مشروع القاش منذ شتاته

	١٩٢٦ ١٩٢٧	١٩٣١ ١٩٣٢	١٩٥٠ ١٩٥١
الهدسوة	٦٣٩	١١٥٠٠	١٩٠٢٠
لبحا الأخرين	٦٣٢	٧٨٨٠	٢٤٨٠
عمر لبح	٨٤١	٧٤١٠	٥١٢٠
مجموع	٢١١١٠	٢٦٦٩٠	٢٢٦٦٢٠

جاء فى تقرير السوى عن حدة وإدارة مالية السودان لعام ١٩٢٧ مايلى شكلت
 بفترة صوبه القدر لباصة رادارة فى شرق السودان مفصله ادرية لم يتوفر بها الحل
 بدست لذلك من عمر لبحر لسماع باستمرارية هذا الوضع بهد تم تعين
 دكم حص سلك هو استمر سى لى أوكلت اليه سلطات كاملة لجميع النجا . بصرف
 بصر عن بمرور النحر فة لمحدفد كلف هـ بحدكم بدراسة للمشكلة ووضع مقترح
 متكامل عنها بوضعه لاحقاً بوضع بغير سده على تلك الدراسة دمجت مخططة لبحر

الأحمر وكسلا وتم توحيد البشاريين والهندوة . وبالتالي وضع غالبية قنائل النحا تحت ادارة مركزية رئاستها فى سنكات . كما وحدث أيضاً الوحدات القبلية المنفرقة وحصصت الصرائب لمقادير يسهل جمعها . اقترحت الدراسة أيضاً إنشاء إدارات أهلية جديدة ومحاكم من الاعيان والمشايخ يحصل فى النزاعات والقضايا المحلية بالعرف القبلى .

كان الهندوة يحكمون من قبل ناظر طاعن فى السن غير محبوب ، لذلك استبدل فى عام ١٩٢٧ بالشيوخ محمد محمد الأمين ترك الذى أظهر منذ الوهلة الأولى ملكات قيادية نالت الرضى والتأييد من مواطنيه والحكومة فى ان واحد . لم يتم توحيد البشاريين تحت بطارية واحدة الا فى عام ١٩٢٩ . وفى نفس الوقت بدلت الحكومة جهوداً حقيقية للتخلص من الشيوخ العنصر مهمى وتوابعهم . لقى النظام الادارى الجديد نسجا والذى تتم فيه جسم القضايا المختلفة فى اجتماعات سنوية نجاحاً وشعبية غير متوقعين . استطاع هذا النظام خلال العشرة سنة التالية ان يكتسب ثقة البجا كما استطاع ان يوفر لهم بعض الرفاهية . نالت على حكم المنطقة اد رات ابدت تعاطفاً مع النحا ومشاكلهم وبدأت تدرس تأريخهم وعاداتهم واستطاع بعض الادريين منهم أن يتحدثوا اللغتين لنداوييت والنقرى بطلاقة . هذا لم يعنى مطلقاً بأن هذه الادارات لم تواجه بعض المشاكل والكسات . لقد كانت هناك مشاكل كثيرة ولكن المرحلة . بصفه عامة ، كانت مرحلة استقرار ووحدة . والسلوك البجاوى الذى ولد فى بعض الوقت كثيراً من اليأس والاحباط فى نفوس بعض الاداريين وجد الان من يتعاطف معه بل ومن يعجب به أيضاً .

هذا ما كانت عليه الامور حتى التهديد الايطالى الذى بدأ فى صيف وخريف عام ١٩٤٠ ولدى بدأ باحتلال كسلا تمهيداً لغزو السودان . والقنائل النجاوية (بالدات الهندوة) التى وصفت فى وقت ما بالحياة والعبر وقعت بجانبها وقدمت لها خدمات جليلة اثناء ذلك الغزو . استندت المراقبة فى طوكر لنورية صغيرة سميت بنورية المروح لمراقبة أى عنون على بورتسودان . لم يتم ذلك الهجوم وسرحت هذه النورية فى مايو ١٩٤١ بعد مشاركتها فى الحرب الدائرة بمصوع . تكونت فى القاش وحدة تجسس من الهندوة سميت بوحدة العابة . لم يشكل النحا فى يوم من الايام وحدة عسكرية يعتمد عليها . غير أن هذه الفرقة اجرت المهمة التى أوكلت لها بصورة لاتنافسها فيها أى فرقة أخرى والكلمات النليغة

لديه حاف على سنان جسي إبط إلى السبر بوصف فيها كيف أن السحوى يؤدى مهمته بعد حيلالك لتسلا وإلى هذا النحطة لم يستطع أحد من محتربي أن يحرق مناطق لحد وأنى شخص رسر إلى هبات لم يرفع اليها مره أخرى وبإحصار استطاع لاجتير أن يصفوا المنطقة على بعض سبب بدون أى حشيش أو أى عود الصافيه وبذلك باستعمالهم للهدسوه سبب عدم صلا للصوص وقطاع ضرر ومخاطر استاوس

بعد هزيمة الانجليز فى ارترب كان من المفترض أن تمر منطقة الحدود بمرحلة من الأمن والاستقرار وإعادة البناء والتعمير لم يكرر صفو هذه الحياة الا اولئك الذين اطلق عنهم بالصوص وقطاع الصرق الذين حرموا من افساد ذلك الوضع منع الهدسوة من مصرره على عامر ارترب كما يعربوا ذلك فى السابق ولد فيهم ذلك احساساً بأن هذا وضع غير سليم ، ومثل هذا الشعور كان كثر تلمسا لدى الحميلات الموجودين فى منطقة الحدود مباشرة وكثر بطون الهدسوة بعزالة لذلك واصلوا عر نهم على السى عامر فى ارترب مدعومين فى ذلك سبب عدم من لقبية وحتى من بعض رعمائها الذين كان فى مقبورهم ضبط الامور وبهذه الاحوال لم يكن هناك مجال لمحاسنة ومحاكمه ،معددين وحلبهم للعدنة وبسالى انصاف السى عامر كما يحب ، والسبحة لذلك ان يأخذ السو عامر بقرين بسديهم وسبكلو عضادات مسلحة بالمدفع والدخيرة ،التي هجرها الانجليز أثناء هزيمتهم ، صرعوها بحجور المحسرين استوت هذه العضادات على هذه الاسلحة والحداب بها الى المناطق الحلبه لادنيه حيث شمو من هناك عارات محصاة باححه صر الهدسوه فى منطقة الحدود .

وعلى مدى لصراع الدموى الطويل بين القبلتين وجد الهدسوة بنفسهم فى موقف لا يحسدون عليه وكفهم اصبحت فى الحاسرة لعدم ستمعتهم مجابهة الاسلحة الحديثة بالسلحة تقليديه كالسيف والرمح ، كما لم يستطيعوا بعد التخلص من عدم ثقتهم فى لسبقية لانهم حتى بعد تحصيلهم على ذلك السلاح ،استعربوا عه بعد طلقة أو طلقين للحدو فى حالات الانحام المباشر الى السلاح الابيض . لذلك لم تحد مجموعات السى عامر لمعرب (اللى سميت بالشفه) مشقة فى لقصاء على كل مظاهر المقاومة حينها وحدث وبمستط منطقه الحبور فى فتره وحبره وقيل كل لهدسود الذين يحاربهم فى طريقهم

والاستيلاء على قطعاتهم وعلى مضاربهم الشنوية بؤس . بهذا جعلوا الحياة غير مهادنة لهم في خور بركة وحتى في لانيق وجوي حتى فرقر على مسافة يوم واحد من كسيلا شعرت الحكومتان الاريترية والسودانية ان عصارت شعبة اصحت بشكل نهيداً حقيقياً للأمن لأن نشاطها لم يقتصر على الهدسوه فقط بل شمل مجموعات أخرى وبالذات في حالة نفاذ مصادر تمويلهم . لهذا شكلوا قوة مشتركة للقضاء عليها ولكن نور جوي والسبب في ذلك ان قوة صغيرة من الشفة لا يتعدى عددها خمسة عشر شخص كان بإمكانها ان تغطي مساحة ثلاثين ميلاً في ليلة واحدة . والسبب الثاني الذي أدى الى فشل القوات هو اسخراط وتعاطف بنو عامر السودان معهم في الهجوم المشترك على الهندسوة العدو المشترك لهم . لم يطرأ أي تحسن على الموقف للثلاثة سنوات الاولى ولكن في عام ١٩٤٦ قرر المشقة (ولأسباب مهمة حتى الآن) وضع اسلحتهم والاستسلام وقبول الهفو الذي منحت له السلطات الاريترية . تلت ذلك حلقات من الاجتماعات السلمية بين القويتين دعت فيها الاف الجبهات تعويضاً للخسائر الناجمة عن الحرب

إذا استثنينا المشقة وما ارتبط بها من مشاكل نجد أن المنطقة لم تشهد أي سوء يذكر بعد الحرب مباشرة وذلك بسبب الاضطرابات التي نشبت بين البنى عامر أنفسهم في السودان واريتريا . ويرجع ذلك الى أنهم أبوا مع المجموعات المنتمية للتقري ، ولأول مرة في تاريخهم ، رفضاً صريحاً لهيمنة طبقة البانت الدس يمكن مقرنتهم بسلاء استكلاء في القرنين الخامس والسادس عشر ولذين تمتعوا بحقوق لا يمكن المساس بها . هناك أسباب قادت الى ذلك الوضع وهي ان الحكومة خلال حكمها لخمسة عشر عاماً لمصرمه بدأت تفرض الأمن والسلام ومن ثم انتزعت من سدنا بوز الوصاية التي كانوا يدعونها للمجموعات التي كانوا يهيمنون عليها . اعطى البانت أنفسهم من دفع الصراحت غير انهم كانوا يجمعونها من التقري بفوائد خاصة لهم ، وفي نفس الوقت كانوا يطلون منهم رغبة حيواناتهم وحليها والقيام بجميع الاعمال الوضيعة الاخرى . لم يدرك البانت التهور الذي طرأ ، بمرور الزمن ، على العلاقات الاجتماعية بين الناس ان كانوا يصرون الى هذه اللحظة على عدم التنازل عن امتيازاتهم الطبقية المطلقة ومعاملة التقري على أنهم طيف وحشية من البشر .

جنب الحرب نصاً بعض الآثار الأخرى على مجموعة الرقبو . شهدت المصنعة منذ
حداداً في الأعداد وحتى تلك التي نصير منها مثل الملابس وحبوب و قهوه و سكر كان
للديارات منها نصيب لأسدوت سقى من ذلك ، كان هذا سبباً ، فيه يذهب إلى سقري
المستضعفين ولكن بأسعار باهضة . بدأت أول سراره للتمرد على هذه الأوضاع عام ١٩٤٤
ثم تحولت في عام ١٩٤٦ إلى ثورة وموجبه مكشوفة فسلط معها كد متحلاً بالثورة في
الطريق . أدلت أسدوت الأمر عام ١٩٤٨ إلى مراجعته كامنه بظرفه التي عامر وأعدت
بأنها مرة أخرى . الحال الكون الجديد . أسباب التي وضع لأحباطهم فيه عن المجموعات
لقليلة الأخرى وأرجع التفري إلى تقسيمهم القسبة القديمة . بناءً على ذلك أصبحت نصير
مرة أخرى . بعد قرون من الزمان ، الاسم ، القديمة مثل الألداء والأسفد والواسفد
وغيرها .

كان هناك خوف حقيقي من أن تقسد فترة الاضطهاد الطويلة سقري وأن يفقد بهم
على كل الأصعدة لم يتعد بعض الأشخاص ذوي المستوى الوضيع صدقة لذلك كان
بديهم احساس بأن التحرر يعني بالضرورة أن يفعلوا ما يشاءون دون تقيد بالنظام
الإداري السابق . كان الحل لمشكلتهم يكمن في فرض نظام إداري صارم لفترة طويلة
بحول فيها تلت النظام العاطف مع قضائهم ودعم تماسك القسبة ومنعها من التشتت
والفرقة . كان هناك اعتقاد بأن إدارة الديارات كصيقة مهمته من شأنه أن يترك إلى
عمر متشدد ومضطرب . لذلك كان من الضروري إقامة كيان إداري للأديار

طلبت إدارة الساحة قسبة في كل حواشيها وبحسب عليها أن يظل كذلك مدعو بمشهور
الرعي وهي طوكر فقط ، التي يسكنها حين من الفلاحين والحضر . كان يمكن بحرية
نظام الحكومة المحلية كما هو متبع في مناطق أخرى من السودان . لذلك دشن في عام
١٩٤٨ أول مجلس لمنطقة طوكر والذي سمي محلياً بالمجلس الأهلي وأوكلت إليه إدارة
مدينة والدلتا وحوار بركة والشريط الساحلي للقب بين الدلتا واورشوس . سكون ذلك
مجلس من خمسة عشر عضواً من بين مديري طوكر والدلتا والرعاة وشعبية عصا .
حرص مجلس من قبل الحاكم وبرايس المجلس الحاكم العام للمنطقة . استمرت هذه الإدارة
بصورة مستمرة حتى وصلت مير سبها إلى ٢٠٠٠ حبيب مصري

لا بد الآن طرح أي قصايه مستقبليه بل عسا أن يصيغ موضوع الحياه برسمه
وبحاول أن يلخص الجهود التي بذلت لنحس من وضعهم لم يفسد مستوى الحياه الذي يتبعو
في ذلك المجال لقد حاولت أن يصيغ النحاوي في مباحثه أكثر اتساعاً وشمولاً
ولحوق بعيداً عن تلك المدايق الهامشية التي عهده كعيسى مثلاً عبره رحمه
وباستمرار شديد أن يعدر تلك الصحاري المجده كما حاولنا أيضاً أن نحدها إلى
لص الحداث وما يجلبه له من حير ومفارقة ولكن نرى إلا أن يمسك بوسيلة علاجه
لتقليديه مثل السكن والكي بالنار . اصداقة لذلك فقد حاول أن يوفر له اندرس والمعهده
ولكن بدون جدوى . لقد اجتهدنا ، وبقدر استطاعتنا ، أن نصور مؤرده استحيحة لبعض
من مسواه المعيشي ولوفر له حياه أكثر امناً واستقراراً ولكنه فضل التمسك بحدوده
لديه ولسير عشرات الاميال من اجل قرية ماء . لعله فسيح البحر أن يمسك حاضره
وبرصى بالعيش معهم ، بل وان يحبهم (على الاقر بعض منهم) في بعض الاحوال ودر
تقدير وعرفنا أن أرسوه من سلطه الامن والقانون أوصحت التجارب ان هذه الصاعه لم
يكن مصفة وانما كانت لظروف خاصه ومرحلة محدده يتم بعدها الاحكام لسيده . و
يرتب عليه من اراقة للدماء . لذلك ظل النحاوي كما كان في السابق محارباً مستمداً
لا يعطى أي قيمة لكل التناقضات التي تكثف حياتة حملة القول ، انه يمثل نمطاً هادراً
للحياة التقليديه :

جلس الأسارصيون على صخور شاطئ البحر المبللة بمسظون شعورهم

الملحق الأول

الاحداث البجاوية

قبل الميلاد	
٢٦٠	الباربع لتقرىسى لأول استغلال لمناجم الذهب فى الصحراء الشرقية من قبل الاسرة السادسة .
٢٦٥٠	حملة بيبى الثانى الى البنط .
٢٠٠	١٥٨٠ الامر صورية الوسطى . حملات عدة لى الصحراء الشرقية .
١٤٦	حملة حتشبسوت الى البنط .
١٤٥٠	سفنلال مناجم الصحراء الشرقية من قبل الاسرة لثامنة عشر
١٣٣٠	سيتى لاول ، الاسرة لتاسعة عشر ، يفتح مناجم درهيب
١٠٥٠	هجر المناجم بعد سقوط الاسرة العشرين
١٠٠	٦٠٠ الباربع ، لتقرىسى لاستعمار السنين لمرقفعات التقرى .
٣٢	٢٢٠ استغلال البطالسة لتجارة البحر الاحمر .
٢٩	هجوم ناستاسنين المروى للبجا .
٢٨٥	تأسيس بوتليمباس ثيرون (عق) كمحطة للافيل
٢٧٥	بطليموس فيلاديلفوس يؤسس بيرنيس .
١١٠	غزو ابرمه ذى المنار لافريقيا من اليمن .
٤٠	الباطلسة يهجرون مناجم البحر الاحمر .
٣	الاحتلال الرومانى لمصر .
٢٢	الاكتساح الرومانى لنبتة .

بعد الميلاد

٤١	اكتشاف هيالوس للمونسون .
٥٢	الرومان يرسلون اسطولاً للبحر لاحمر ليقض على بفرصه .
٦١	حملة نيرو الى مروى
٦٤	أول ذكر لأكسوم

يقوم بذلك بن شامسار يرش بحميه هاسله لعيساي	٩٠
انتصار جترالات الصريان على البجا .	١٣٧
البجا يغزون مصر العليا .	٢٤١
احتلال البجا لمصر العليا .	٢٦٨ ٢٧٥
مفاوضات اورليان مع اكسوم .	٢٧٠
بروباس يطرد البجا .	٢٧٥ ٢٨٠
ديوكيتيار يسترجع منطقة الحدود ويهدم مساعدات لمبع أي هجوم	٢٨٤
عشق اكسوم للمسيحية بمساعدة هرومينوس .	٢٤٠
ايزناس ملك اكسوم يدمر مروي .	٣٥٦
هجوم البجا على مصر .	٤٢٥ ٤٣٠
ماكسيمينوس يخضع البجا .	٤٥١
سها ملت ،كسوم يحل ممكة حمير ليمية	٥٢٥
حسين يقترح امامه حلف معاد للفرس مع اكسوم	٥٢٣
جستنيان يغلق معبد ايزيس في فيللى .	٥٣٦
تكرار هجمات البجا على مصر .	٥٣٨ ٥٣٩
سيلكو ملك النوبة يهرم البجا هزيمة ساحقه	٥٤٠
البجا يعتنقون المسيحية بصورة اسميه .	٥٥٠ ٦٠٠
آخر ذكر لهجوم بجاوى على مصر .	٥٧٧
ول ظهور لادى على البحر الاحمر واستقرار لبلو بعدي	٦٠٠
الغزو العربى لمصر . موقعه بهناسا .	٦٤١
الباريح ،القريبى لاسقرار الحلقة بالفاش	٦٩٠
تدهور اكسوم .	٧٠٠ ٨٠٠
الدرج القريبى لاسقرار ،لارثيفه سواكن .	٨٠٠
حملة عبدالله بن جهم ضد البجا .	٨٣١
انتفاضة البجا الذين غزو مصر حتى اسنا .	٨٥٤
محمد عبدالله بن جامعى يهزم البجا .	٨٥٥

بوالعمرى عبد الله يعيد افتتاح مناجم وادى العلاقى	٨٢٨
التاريخ القريسي لوصف العقوى لسته ممالك بحاونه بن اسوان ودهلك .	٩٠٠
ربعة فى اوح محاف فى مناجم الصحراء لشرقبة .	٩٤٥
هجوم بجاوى كاسح لمصر العليا .	٩٦٩
أول ذكر لعذاب كميناء للحجاج .	١٠٢٨
سكان بادئ يهجرون المدينة .	١١٥
الصلبيون ينهبون عذاب .	١١٥٣
حملة الممالك ضد سواكن .	١٢٦٦
التاريخ القريسي لاسفر الكوهلة بعيناي زيارة ابن بطوطه لعذاب .	١٢٦
استنزاف وهجر مناجم الصحراء الشرقية .	١٣٤١
زيارة أول سفينة تجارية هندية لسواكن .	١٤٢٢
بيرس بيه يدمر عذاب .	١٤٢٦
لشاريون بطريرك الحدار (لسو) من عيناي حملة بيدرو دى كوفيلهام الى الحبشة .	١٤٦٠
١٦٠٠ نسل اللو والقبائل لبحاوية الاخرى لى شمال القري .	١٤٩٠
قيام مملكة الفونج على يد عمارة دنقس .	١٥٠٠
احتلال لاتراك العثمانيون لسواكن ومصوع	١٥٠٤
١٥٥٠ الهدنوة بطريرك البلو من منطقة سنكات .	١٥٢٠
سب عسقى (حباب) بعرو ساحل البحر الاحمر .	١٥٢٠
الغابتاب (بنى عامر) يطيحون بالبلو .	١٥٣٠
توسع الامرار نحو الغرب .	١٥٨٠
هجرة البشاريين الى عطبرة .	١٧٢٠
احتلال الهدنوة للفاش ومينصف منطقة بهر عطبره	١٦٥٠
زيارة بيركارت للتاكا وسواكن .	١٨٠٠
	١٨١٤

الاحتلال المصري لسواكن .	١٨٢١
هجوم لمصرى لاون على سكة بغداد لدمر	١٨٢٣
هجوم آخر بقيادة خورشيد باشا .	١٨٢٢ - ١٨٢٦
زيارة لينان دى بيلفوند لعتبای .	١٨٢٣
المصريون يأسسون مدينة كسلا .	١٨٤٠
حملة أحمد باشا منبكلی للتاكا .	١٨٤٤
الاتفاق المصرى مع البنى عامر .	١٨٤٨
تمرد الفرقة الرابعة بكسلا .	١٨٦٤
مونزقار يحتل كرن .	١٨٧٢
معركة غوندت . الاحباش يهزمون المصريين .	١٨٧٥
معركة غورا . هزيمة مصرية أخرى .	١٨٧٦
اندلاع الثورة المهدية .	١٨٨١
أول هجوم فاشل لعثمان عليه على سكة . معركة سيد لاوس	١٨٨٣
معركة لند (معركة بىكر) سقوط سكة وطوكر معركة	١٨٨٤
التيب الثالثة (معركة غراهام) . معركة تآماى .	
سقوط الخرطوم . معركة توفريك (زريبة ماكيل) .	١٨٨٥
معركة جميزا .	١٨٨٨
اعادة احتلال طوكر .	١٨٩١
الاحتلال الايطالى لكسلا .	١٨٩٤
الاستيلاء على كسلامن الايطاليين .	١٨٩٧
معركة امدرمان .	١٨٩٨
اعتقال عثمان دقنة .	١٩٠٠
حادثة سامبو . هجوم الهدنوة على حامية كسلا .	١٩١٨
شركة قطن كسلا تبدأ زراعة القطن بالقاش .	١٩٢٤
توحيد ادارة البجا تحت لواء محافظة كسلا .	١٩٢٨
إدارة القاش تحل محل شركة قطن كسلا .	١٩٢٩
الاحتلال الايطالى لكسلا .	١٩٢٩ - ١٩٤٠
مشاكل الحدود بين الهدنوة والبنى عامر .	١٩٤٣ - ١٩٤٦
تحرير رفيق البنى عامر . تأسيس مجلس منطقة طوكر .	١٩٤٨

الملحق الثاني

القبائل البجاوية وفروعها

منطقة البجا

٦٧٠٠٠ نسمة

١ - الامرار

ينقسم الامرار الى مجموعتين رئيسيتين ، الامرار والاتمن . تنقسم لأولى الى

عشيباب

فاضلاب

ينقسم الاتمن الى :

كيلاب

أرفوياب

علياب :

منياب

منوفلاب

عمر حساياب

موساياب

قويلاي :

عبدالرحيماب

سندراييت

عبدالرحماناب

كرباب

نوراب (في منطقة طوكر)

٤٥٠٠٠ نسمة

٢ - بشاريين

ويتفرعون كما يلي :

عمراب

علياب

أم علي :

ستتيراب

حمداوراب

ويلالياب	ايراياب	أم ناجى .
بطران	نافعاب	
مداكير	منصوراب	
مشبولاب	عدلوياب	
قراپ	حمداب	

مجموع القرى : ١٠ دوسى لأم ناجى هي عيسى والبقعة على نهر عصره

٣ - الهدنوة ١١٠٠٠ نسمة

فروعهم الرئيسية هي :

ويلالياب	بشارياب
سمرأر	ميشاب
جميلاب	شرعاب
هاكولاب	سمرندواب
قرعيب	ترك
كلولى	إميراب
حامداب	شبوديناب
بيرناب	قورهياب
بوقلابناى	ربمك

٤ - كاملاب ومرقوماب ١٢٠٠ نسمة

٥ - سيقولاب وميلهيتكناب ٨٠٠ نسمة

المجموع ٢٢٤٠٠٠ نسمة

منطقة طوكر

٦ - البنى عامر ٢٠٠٠ نسمة

١٠ سمرعون كلاسى

عجیلاب

تقری :

المداء

اسفدا

تارقیلا

حماسین

أبهاشیلا

مدك ل

فلاند

وبلسو هو

عد فاصل

ریقاب

حدارب :

سنگاتكناب

لبت

هدیقو بویاب

لبس

عد کوکای

بیت موسی

سوقییت

بیت عوب

بیت قریش

عد الخاس

۷ - ارتیقة

۸ - شعایاب

۹ - أشراف

۱۰ - کمیلاب

۱۱ - حسناب

المجموع

۴۰۰۰ ر۴ نسمة

۳۵۰۰ ر۳ نسمة

۲۵۰۰ ر۲ نسمة

۲۰۰۰ ر۲ نسمة

۱۰۰۰ ر۱ نسمة

۴۳۰۰ ر۴ نسمة

منطقة كسلا

١٥٠٠٠ نسمة

١٢ - البنى عامر

وينقسمون كما هو موضح أعلاه

٢٥٠٠ نسمة

١٣ - حلقة

١٧٥٠٠ نسمة

المجموع

منطقة القصارف

٧٠٠ نسمة

١٤ - الحمراء

الملخص

٢٢٤٠٠٠ نسمة

منطقة البجا

٤٣٠٠٠ نسمة

منطقة طوكر

١٧٥٠٠ نسمة

منطقة كسلا

٧٠٠ نسمة

منطقة القصارف

٢٨٥٠٠٠ نسمة

المجموع الكلى

الملحق الثالث

قبائل الارتيقة

يسمى الارتيقة بن سسهم يسهى الى الاشرف وبالحديد الى محمد جمال الدين ، أحد بني مسفر ، الذي يقول بأنه هاجر من حصر موت بن سواكر في حوالي عام ٨٠٠ ميلادى . بن الارتيقة كمجموعة تجارية يوسعون نفوذهم عن طريق المصادرة مع القنل لحدويه مثل المويكب والبلو وأخيراً مع الامرار والشاربين وتذكر القصص الحديثة بن مسفر كان يعمل بالبحارة وصيد النؤلز عبر أن رصيده الرئيسى كان من النؤلز ونجارة الحورى . كنسب الارتيقة مكانة اجتماعية مرموقة وسط لبحا بفصل محرمهم لمكره لمنصفه حيث لم يح مكنه مماثله لنهحرت للاحقة عابهم على ذلك مكرهم ودههم وطموحهم الشديد ولكى يحفظوا على تلك المكانة كان عليهم ان يدعموها بالمرأوح مع قسب لمنصفه ممارسه لم تنح أو لم يهزم بها عبرهم

حل الارتيقة كسيادة لسواكر بعد طرد البلو منها فى بداية القرن السادس عشر وورثو عنهم أيضاً الاسم اسحاوى ، القديم حدارب أو حداربا الذى كان يعرف به ابلو فى الماضي كان رعيم الارتيقة أو امير الحدارب ، كما كان يلقب ، يتقدم دخل سواكر مع الحكم التركى لمصرى ، وكانوا يقطنون حول سواكر ويعملون فى تجارة ابرقق وأنشاء حرى كبيرة . لم يعجب تركت كثير بالارتيقة عند مشاهدته لهم فى شسى وهى مباحق أخرى فى عام ١٨١٢ وأنشاء عملهم بالبحارة استطاع الارتيقة ان يوطوا العلاقات مع المسلمين بالحريرة . تلك المنصفه بنى اسبهوت سحاره الرقيق مثلها مثل شسى عبق بوسى أحد نكبت لفرسيير ، عنهم قائلان ، كانت تعيش فى سواكر مجموعة صغيرة من حدارب الذين اشتهروا بالبحارة والسفر وعلاقاتهم لخمسة مع لسميه رعيم بن عدهم كان بسيطاً الا انهم كانوا مؤثرين بفصل دكانهم ومقرهم على استغاث وسائل لعدم التى وفدت اليهم عن طريق الاروبيين» .

يعتقد الشنبلة الدين يعيشون فى الحريرة بن مدي ولحصا حصص ، هم عبر شديده كرهان ، بن سسهم يرجع بالنص الى الكواهة ، انهم يدع مصادره بنت بن كميلان

وقد كانت من الحروب و انحصار بالبحر في تلك المنطقة سردهورد على سبل لا يرو
ومررها اسكره عام ١٦٨٤ ويقو هذا في هذه المنطقة كمنطقة ريسفر حقه اكثر منه
كمنطقة مسيحية

هاجر الحر. لاكثر من الاريفه من سواكن في ضوكر في سنة لقرن التاسع عشر
وهم اول من ررع الدف مقابل حر بالونه الى اسي عامر النس كيو يستغلون المنصفه
لاعرض رعوته فقط ومع دخول رراعه الفطن في ذلك بدأ بنحس مسواهم المعيشي
بقدره بالمعدلات المحيطة لذلك فهم تفررو بالدف. و لاسيه. و من المجموعه اسي نقص
منهم الماسه كانت نفس حدة برع و سرع بفصل لغت في بحيرة من حصصهم
برر عه الكثره في ضوكر ومن سيطرهم على الهأحي سحاره في سواكن في قيره
دهارف ينقسم لاريفه الى ثلاثة مجموعات مميره. صغره و كثره ريسفر طية في
سواكن. و بعضه اعظم من لفلة منه حدة بظوكر ما المجموعه ثاثه فقط لافس
حيث تخضع لنظارة الهندوة.

بمنبر سعياب. اسي عمون بفسهم فرع من قروه لاريفه. بصفت مميره منها
يهم بنصفون بالود. لوحيه مثلهم مثل الفيل اسداهه الاخرى عكس الاريفه
لحصر من اسي بعمون بالحد. الررع. بمركر اسي. حول سواكر اسي وقوا
سها مؤخره وفي القاس وحوار اربعه وفي المنصفه سحبيه من بريسور وسوكر
رعم بهم بيمكون حصصا رر عيه بظوكر لا أنهم لا يسو رعه حقيقه في الرراع
مركر من جهدهم لاكثر للرعي ورعه لحيوان

وفي الحاشي الاخر يعقد الحمر من بهم كبر ارتداد بالاريفه مغربه بالسعايات وهم
يعقدون بأنهم ببحدرون من اصول عربيه خاصه ويمثلون فرعا في قروه و حرب و لعب
لطن انهم بفرعون عن لاريفه و من حدهم بكبر محمد رروب (احمد) هاجر من منصفه
عسيره ومن ثم في سبيبت اسي منه حدهن هيا الى يومنا هذا هياث براوحو مع الفيل
المحليه و شهور. كما روي ببكر بصيد الاقبال وبعض الحيوانات البريه الاخرى وفي
بلك الانث. كانوا يشككون ثقلاً فليلاً لابس به (بكر مايرر في ١٨٦٤ عده قري للحمر)
وفي قيره المهية كانوا بريسور لحكومة ويسرفون على ما كسلا بيمون لعدسه لذلك

كتبوا هذه اليهودية ، لأنه يصعب من غير دراسة لاسمى عرفة لا يصح
مفرقة على اثنين أو ثلاثة قرى بستيت .

ليس من المستبعد أيضاً أن القرية حمير مكرهة بل بهم نفس الأصل حسب اعتقاد بل
سبهم يرجع إلى قبيلة حميرية عبر البحر الأحمر إلى نهر سابع فيلادى (هذا الموضع
قد يكون مكرراً للاريفه) وسفروا ثمرة من الرمان ذهب من سدك وبحر مكر
سمر بل إلى فصل (قبله يرجع أصلها إلى الحفص ونسب إلى المصير و يربط
ولكنها اسم حب حبراً مع الحمر) يصم محضه غير ولاهف يسمى بالحصارمه (الحرب) و
والنسبة بالحمران ولكن ليس لها ارتباط بشرق لسور وهذا يكون هذه السمات بمحس
الصدقة . بعض صون الهندوة مثل لكلولى والايدهى قدوات يدعون نسب إلى
لحمران مما يوضح أن أحفاد محمد العرب يشتروا هي مدحق كثيرة

مما يدعم نسب الحمران إلى الاريفه هو ، نسب كليهما للمذهب السافى مثلهم من
قله من ، الاشراف بحور بركة وهى القبيلة بوحده الاخرى التى تنمى إلى ربك مذهب
والحمران مثل لحليفه كتبوا إلى وقت قرب بحرون بالقرى وكان بذكر بطق على معونه
فى رحلات نصب كلمة فافير وهى نكسة القريه للصبارين ولكن لحليفه نسب
اصالهم المتوصل مع حبر بهم لبحرون بحوا عن السعة بقرية وصبحوا بحرون
بالسوييت . ولكن الحمران (الذين هم الآن حبر ، من بحرة لشكرية) يدعون بأنهم لم
يتحدثوا أى لغة غير العربية .

بوصح شجرة نسب لتالية العلاقة بين القائل الثلاثة



المحلق الرابع

العبادة

هؤلاء أيضاً يدعون السبب الى الكواهلة والبربر بن العوام الذي قبر في موقعه لحمر وتوضع العلاقة التالية نسبهم .



هناك مصادر كثيرة تخالف ذلك الرأي وتصر على نسبهم الحامى وارتباطهم ابوشو بالبجا . أما أنا شخصياً فأرحح روايتهم لقائلة بأنهم وفدوا من مصر بصحبة جيش عمرو بن العاص واستقروا ، بعد موقعة بهانس عام ٦٤١ ، فى وادى النيل جنوب اسوان . هناك تراوجوا مع البربر (كنور) وجيرانهم البجاويين بالصحراء الشرقية مما اكسبهم مريحا من الدماء ، هذا رغم ان بعض مجوعاتهم الرعوية فى مصر تتحدث لهجة من البداويين

أما المجموعات التى توغلت جنوباً نحو السودان واستقرت ببربر وشيدى بالمحافظه الشمالية فإنها تدعى الاصل العربى ولا تظهر عليهم السمات البجاوية . امتاز العباديه بمقدرة عالية على التأقلم واشتهروا بسمعة طيبة فى العمل كمرشدين فى الصروح الصحراوية . لهذا السبب ستعملهم الفوج لحماية القوافل لى تعبر الصحراء من الكوروسكو الى ابى حمد .

الملحق الخامس

الحلقة

يذكر هذه القبيلة التي لا يتعدى عددها لأن أكثر من ٢٥٠٠ شخص من أولى لقد نزل
العرب التي نسبت إلى اسماعيل دخلت هذه القبيلة السودان ، بعد اعتناقها للإسلام
عن طريق يختلف تمام الاختلاف عن الطرق المعهودة الأخرى

يقال أنهم من بني سعد وعبروا البحر الأحمر في عهد الحليفة عند ملك بن مروان (٦٨٥) هـ
ولكن أكثر لار ، ترجيحاً أنهم ينتمون إلى نفس الأصول التي انحدر منها عرب
الخورمة وتقول رواياتهم بأنهم استقروا في البدنة في مرتفعات لتقرى في حوالي القرن
الثامن الميلادي ولكنهم طردوا من هناك بسبب الخلافات لندنية من القبائل المحلية
في تلك الأثناء بطراً كثيراً من مظاهر الضعف على مملكتهم كسود . وهذه للملكة رغم أنها
كانت على علاقة وطيدة بمكة لأن وجود قبيلة مسلمة وسط عشيرة مسيحية لم يكن من
الأمور المقبولة .

لذلك فهم طردوا من مرتفعات لتقرى وبرحوا عبر مرتب (القاش) إلى الدك حيث
استقروا حول حدل تولوس (جبال كسلا) وبسطوا نفوذهم ورر عنهم حتى دباب (مكلى)
بدلتا ، نقاش . وهناك تزوجوا ، ليس فقط مع قبائل النجاوية و لتقرى (بني عامر
قادياب ، بلبي ، حفر ، سيقولاب ، ميهيتكند وغيرهم) بل ومع القبائل العربية من
العدلات والاشرف والرباطات والحفليين . ولزالت هذه العملية مستمرة إلى يومنا هذا
وهم بصاً لهم رنط بالحواويض حول كنوشية بالمديرية الشمالية ويروي أن شيد
حليقياً ستقر في فترة من الزمان في أنى طليح بصحراء بوصة اكايت مسرحاً لمعركة
الصحراء عام ١٨٨٥) وتزوج هناك فتاة من العواضية ، حاول بعد ذلك أن يزوج مع زوجته
وعشيرته إلى كسلا ولكنه لم يصل إلى أبعد من كنوشية على الشاطئ الشرقي للسيل لأن
زوجته ، أثناء عبورهم للسيل ، وضعت له مولوداً لقب فيما بعض بالحواض (من حاضر)

تضم مخطوطة الشيخ أحمد لفي المعارف مرجعاً هاماً عن الحلقة يقول فيه

يعتقد أن جماعة الكهوف الذين يسمون بالحلقة كانوا يعيشون حول البحر الكبير

اللوس بين التاكا وأثيوبيا .

وفى عام ١٧٨٠ ارسل سلطان الفونج الثانى ، عدلان حملة ضدهم لم يكتب لها النجاح بسبب مقتل قائدها .

وفى نهاية القرن الثانى عشر بدأ الهندوة يتوسعون نحو الغرب ، أى نحو عطبرة واثاء ذلك بدأوا يدفعون الحلقة الى جبال كسلا وبالذات الى منطقة فاكيندا التى تعتبر الموقع الحالى لكسلا . وفى وقت لاحق اكتسب الحلقة سمعة سيئة وسط البجا وذلك بسبب حثهم للمصريين لغزو المنطقة فى محاولة منهم لاسترجاع مكانتهم . نتيجة هذه العملية هى تلك الحملة الشرسة التى قادها احمد باشا ابو أضان واحمد باشا المنيكى وبعدها اسست مدينة كسلا . لقد جنى الحلقة ، ولكن لفترة وجيزة ، ثمار هذه الحملة حيث عوملوا كمجموعة مميزة واتيح لهم الانخراط فى الوظائف الصغرى داخل مؤسسة الحكم التركى المصرى . هذه المكانة جعلتهم يدفعون الثمن غالباً اثناء المهديّة التى مارست ضدهم كل وسائل الابداء والاضهاد .

اعتقد ليجات (خطأ) الذى زار كسلا ١٨٦٠ ان الحلقة يمثلون فرعاً من فروع الحماسيين وذلك بناء على اللغة التى يتحدثونها . ثم اضاف بأن الحلقة هى المجموعة الوحيدة بين المجموعات الناطقة بالتقرى والتى تمارس نظاماً اجتماعياً يؤثر المساواة للجميع . أما وايرن الذى صاحب حملة أحمد باشا ابو أضان فيقول عنهم « انهم سلالة تميزت بالوسامة ورقة الاحساس بعيداً عن الكذب والوحشية اللتان تميز بهما الهندوة . رغم ذلك فالقبيلتان تتشابهان لدرجة يصعب معها انتقاء اى خصال حميدة لكليهما .

يمثل الحلقة اليوم مزيجاً من الدماء يغلب عليها الدم العربى الممزوج ببعض من التقرى وبقدر يسير من الدم البجاوى . كما يتحدثون الان البداوييت بدلا عن التقرى ولكن بصفة عامة فهم يتحدثون اللغات الثلاثة ، البداوييت والتقرى والعربية . مكان تواجدهم الرئيسى هو كسلا وما جاورها ، اضافة على انهم يدعون ان علياب - الامرار ينسبون اليهم . رغم ان الحلقة اليوم لايشكلون ثقلاً قبلياً يذكر الا أن تركيبتهم السلافية المختلطة اتاحت لهم خصائل مميزة مثل الوسامة والذكاء والمقدرة السريعة على التأقلم .

الملحق السادس

الفلاته ملى

هذه مجموعة عرقية صغيرة أكثر ما يميزها انها استطاعت فى فترة وجيزة ان تتطبع بالتقاليد والعادات البجاوية . يعيش الفلاته حول قلووسيت التي تبعد بضعة أميال عن شمال كسلا . وتوجد فى المنطقة مجموعة أخرى من قبائل افريقيا الغربية مثل الهوسا والبرنو .

هاجرت المجموعة الرئيسية للفلاته من تمبوكتو حوالى ١٩٠١ - ١٩٠٢ وهى فى طريقها الى مكة المكرمة . وعند رجوعها من هناك استقرت بقلوسيت بالجزء الغربى لدلتا القاش . ومنذ ذلك الاثناء بدأت تتضاعف اعدادهم وثروتهم وامتلكوا قطعانا من الابقار والماعز وقليلاً من الجمال وانتهجوا فى حياتهم نهجاً شبه رعوى . وكبقية المجموعات الرعوية فى المنطقة فهم يعيشون فى خيام من القش والوبر الا أن خيامهم اشبه بخيام سكان افريقيا الغربية .

ولعل أكثر الاشياء الملفتة للنظر فى هذه القبيلة هو استطاعتهم التحدث باللغة البجاوية وان يتمثلوا بزيهم وبأسلحتهم . فمثلا نجد أن شبابهم يرسلون شعورهم ويستعملون الخلال ويلبسون السروال الطويل الفضفاض والصديرى ويحملون السيف والدروع مما يصعب تمييزهم عن الهدندوة الذين يعيشون وسطهم ويخضعون لسلطتهم .

الملحق السابع

الجمال البجاوى

يذكر ان الجمال عرف لأول مرة فى مصر عام ٥٥٠ قبل الميلاد . وكان يستعمل فى عهد البطالسة والرومان باعداد بسيطة للعمل فى الصحراء . لكنه لم يعرف بالتحديد التاريخ الذى امتلك فيه البجا للجمال ذلك الحيوان الذى لم يكن له أى دور يذكر فى تحسين اوضاع منطقتهم الصحراوية . غير أن بعض المصادر ترى ان القرن الثالث الميلادى قد يمثل الفترة الزمنية التى امتلك فيه البجا الجمال وذلك بسبب غاراتهم المتكررة ضد الرومانيين بمصر . استطاعوا منذ ذلك الوقت ان يجلبوا معهم ليس فقط اعداداً كبيرة منه بل استطاعوا وبجدارة ان يعتنوا به ويتفنونوا فى ركوبه ، فهم لازالوا محافظين على هذه المهارة وتضيف بعض مصادر القرون الوسطى انهم كانوا يجيدون استعماله فى الحرب كما يجيد غيرهم استعمال الخيل . وأنا شخصياً شاهدت فى بعض الاحتفالات القبلية المقدرة الفائقة للبجاوى فى ركوب الجمال حيث يقف الواحد منهم على رجل واحدة على ظهر الجمال ويمسك بيد واحدة رسن الجمال ويده الاخرى قابضة على سيف مشهور يلوح به فى الفضاء . كما شاهدت أيضاً ان بعضهم يمتطى جملاً وفى يده وعاء ملئ باللبن ولا تتدفق منه قطرة واحدة .

توجد السلالات الجيدة للجمال وسط قبائل محدودة مثل البشاريين والامرأر ، واشهر هذه السلالات هى بانقير وكلايووا اللذان اشتهر بهما الحمد أوراب وعلياب البشاريين على التوالي .

وكلايووا الذى فاقت شهرته الأفاق ماهو الا هجين من نوعين هما بانقير وعبيديه والقبيلة التى تمارس رعاية هذه السلالة وعنايتها الان هى العلياب .

ولعل الجمال البشارى فى عيتباى هو من أجود سلالات الجمال فى السودان . فهو يمتاز بالقوة والرشاقة والسرعة ، لذلك فهو أكثر الحيوانات صلاحية لأعمال الحراسة والسفر فى الصحراء .

تمكن كريباب الامرأر ان ينشئوا سلالة جميلة من الجمال تصلح لكل الاغراض ، غير ان

جمالهم صغيرة وبطيئة ولا تصلح لحمل الاثقال .

قليل من الهندوة يهتمون برعاية الجمال ولا توجد بينهم سلالات متميزة .

وفى الجانب الاخر نجد أن البنى عامر يهتمون بالابقار حتى أكثر من الهندوة ، غير ان النابتاب هم أول من ادخلوا الجمل الى المناطق الجبلية جنوب خور بركة فى عام ٢٥٠ ميلادية . وفرع واحد منهم هم البرهمائى الذين استطاعوا ان يطوروا سلالة جبلية من الجمال . هذه الجمال طويلة الساقين غير مريحة للركوب لكنها تصلح للاراضى الجبلية اكثر من الجمال الساحلية .

لاستطيع الجمال الصحراوية ان تتأقلم للمناطق الزراعية والعكس صحيح . عموماً فإن الجمال تجد مشقة كبرى فى التأقلم للظروف الرعوية المختلفة . هذه الخصلة اكثر مشاهدة فى طوكر (بين الشعاب والنوراب) حيث الجمال هناك ترعى الحشائش المالحة التى تنمو على ساحل البحر وخور بركة . لذلك فإن الجمال التى تربى فى منطقة طوكر ليست لها قيمة تجارية خارج هذه المنطقة .

مع التحية إلى مكتبة علوم النسب